

التعليم في إسرائيل

ديني أم علماني

رشدي فكار
زين العابدين الركابي
هيثم الكيلاني
فهمي هويدي
سعد البازعي
هارون هاشم رشيد
إبراهيم البحراوي
هدى حجازي
حيدر طه

التعليم في إسرائيل

«ديني أم علماني»

(نخبة من الباحثين)

ⓗ وزارة المعارف ١٤١٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

التعليم في إسرائيل: ديني أم علماني .- الرياض.

١٣٨ص ؛ ١٤سم × ٢٠ سم (سلسلة كتاب المعرفة، ٢)

ردمك ٢ - ٠١٠ - ١٩ - ٩٩٦٠

١- التعليم - إسرائيل   أ- العنوان

ديوى ٣٧٩,٥٦٩   ١٨/ ٣٥٧٧

رقم الإيداع: ١٨/ ٣٥٧٧

ردمك: ٢- ٠١٠ - ١٩ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

ذو القعدة ١٤١٨هـ

مارس ١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة كتاب المعرفة

تصدر عن: مجلة المعرفة

إصدار
وزارة المعارف
بالمملكة العربية السعودية

إدارة النشر
روناء للإعلام المتخصص
الرياض

المحتويات

في البدء

« إسرائيل »
ثلاث مرات يومياً

بقلم: رئيس التحرير

منذ أن كنا صغاراً - وقبل أن يدركنا الوعي السياسي الإلزامي - ونحن نعرف أن لنا حكاية مع إسرائيل .. لكن ماهي هذه الحكاية لا ندري!

إن كنا لا ندري ما هي الحكاية، فقد كنا نوقن أن قضية إسرائيل هي السياسة، والسياسة هي قضية إسرائيل فقط لاغير!

* * *

أطفال العرب وحدهم - من بين أطفال العالم - هم الذين يتعلمون «السياسة الخارجية» قبل «السياسة الداخلية».

* * *

لم يكن يعكّر صفو جلساتنا العائلية سوى صوت «طن طن طن طن..» إنه توقيت جرينتش .. هنا لندن..

وإذا كان «هنا لندن» فإنه تلقائياً ينبغي أن يكون هنا الصمت، هنا التوقف عن الحركة، هنا التوقف عن الهمس، هنا الاكتئاب!

لم يكن أحد منا يجرؤ على الحديث إذا كانت لندن تتحدث، أخبارنا ينبغي أن تؤجل حتى تنتهي أخبار إسرائيل، فصف الطفولة فينا ينبغي أن يستمر مادام أن قصف إسرائيل مستمر!

هكذا كانت «هنالندن» تقتحم علينا جلساتنا العائلية - ٣ مرات يومياً حسب توقيت جرينتش - فتقلبها من مجلس عائلي مزدحم بالأشخاص والمشاعر إلى غرفة عمليات عسكرية يديرها ضابط واحد فقط، أما البقية فهم جنود محالون على التقاعد!

هذه الصورة العائلية المسيَّسة لم تكن خاصة بمنزلنا فقط، بل إنني أذكر أن كثيراً من زملاء الدراسة حين أقوم بزيارتهم أرى نفس المشهد ماثلاً أمامي.

* * *

وبعد .. فما الذي تغير منذ ذلك التاريخ؟! ما زالت إسرائيل تقصف فلسطين وملحقاتها .. وما زالت «هنا لندن» تقصف جلساتنا!

لقد تبدلت الأدوار فقط - ما بين الستينيات إلى التسعينيات - هناك في إسرائيل حيث تغير القادة والتكتيك ولم يتغير الهدف.. وهنا في منزلنا فأنا الآن الذي أمسك زمام المذياع وأعلن حالة الطوارئ إذا حلّت «هنا لندن»، وأطفالي الآن هم الذين يكتوون بقصفي لطفولتهم وعباراتهم المتناثرة بين ثنايا الأخبار.

* * *

وبعد أن كبرنا وترعرعنا في خيمة السياسة الخارجية فإنه يحق لنا أن نتساءل: هل مشكلتنا مع إسرائيل سياسية؟ أم عسكرية؟ أم اقتصادية؟ أم ماذا؟

نعم إن مشكلتنا مع إسرائيل هي في «أم ماذا؟»!

فنحن صرفنا جهد سنوات طويلة في تعاطي السياسة مع إسرائيل، فلم ننجح!

وصرفنا أموالاً كثيرة في تكديس السلاح العربي لإرهاب إسرائيل، فلم تنسحب!

وصرفنا .. وصرفنا، وما زالت «إسرائيل» حيّة كالحيّة!

* * *

ماذا علينا لو جربنا اقتحام خنادق أخرى للمواجهة؟

نحن هنا في «المعرفة» أردنا أن نقتحم خندق «التعليم» لأننا ندرك وتدركون أن التعليم هو أول جرعة يتعاطاها الطفل اليهودي - وكافة أطفال العالم - قبل أن يتعاطى الاقتصاد والسياسة والعسكرة.

إذا كان هذا هو الترتيب المنطقي لمدخلات الطفل : التعليم ثم الاقتصاد فالسياسة فالعسكرة، فلابد أن يكون سر انتصارهم يقبع خلف تعليم ينمي روح الانتصار، ولابد أن يكون سر هزيمتنا - نحن العرب - يقبع خلف تعليم ينمي روح الهزيمة .. أو على الأقل لا ينمي روح الانتصار!!

* * *

نحن لا نزعم أن تقديمنا ملف «التعليم في إسرائيل» هو الذي سيطفئ المدفع الإسرائيلي والمذياع العربي!

لكننا ندعو من خلال هذا الملف إلى النظر في تاريخ الصراع ومراجعة الحسابات، ندعو إلى تبني الطرح التربوي والتعليمي في قضايانا كافة، ندعو إلى تشجيع الدراسات الجادة في هذا الشأن وأخذها مأخذ التحليل والمقارنة ومواطن القوة ومواطن الضعف.

ففي تاريخ التعليم اليهودي تكمن جميع الأسرار!

* * *

وبعد .. فالتعليم هو الذي يغيّر خريطة العالم.

زياد

توطئة

تساؤلات في سبيل الإجابة

إنه لتساؤل مشروع ومتوقع ينبغي أن يُطرح: كيف أمكن لهذا الكيان الذي لم يتجاوز ميلاده بضعة عقود أن يرسخ وجوده النشاز ويقيم أسس البقاء والتفوق لمجتمعه؟.. ومادور التربية والتعليم في ذلك؟

كيف أصّل فكرة الاستيطان والاستمرار على أرض فلسطين. وبأي طريقة تصاغ عقول أطفال وشباب/طلاب المدارس الإسرائيلية لتأكيد الحق المزعوم في هذه الأرض. وبأي لغة يتعامل مع (الأغيار)، اللصوص، المخربين.. العرب، المحيطين به من كل اتجاه؟!

هل نجحت تربية إسرائيل في تجنيس وصهر هذا الخليط الذي قدم من عشرات البلدان والأعراق واللغات، بل والثقافات المختلفة؟، وما تجربة مدارس (الكيبوتس) في ذلك؟، وكيف أمكن بعث لغة (ميتة) لتكون لغة العلم والتعليم بدءاً من رياض الأطفال إلى قاعات الجامعة ومراكز البحث العلمي؟

ما الأهداف العامة للتعليم في إسرائيل؟ وما ملامح البنية التعليمية والهيكل الإشرافي؟ وكيف تُخطَط وتصاغ المناهج والمقررات الدراسية؟، أي محتوى تحمله هذه المناهج؟، وكيف هي صورة العرب التي يتلقاها الطالب في مدرسته ومقرره الدراسي، والقصة التي يطالعها، والبرنامج الذي يشاهده؟

ما دور المؤسسات الدينية والاجتماعية والإعلامية في تعضيد دور المدرسة ومساندتها على تحقيق أهدافها في إعداد الجيل الذي سيقود إسرائيل للمستقبل؟ وأي قيم تُعزز وتُكرّس لدى الناشئة لتحقيق التفوق للشعب اليهودي.. والحماية لدولة

إسرائيل؟

وفي هذا الكتاب ـ الثاني من سلسلة كتاب المعرفة ـ نحاول تقديم جزء من الإجابة عن جزء من هذه التساؤلات خلال عدد من المساهمات الكتابية، والتي حررها «للمعرفة» عدد من المتخصصين والمهتمين بالشأن الإسرائيلي الثقافي والتربوي.

مؤسسات التعليم الإسرائيلية

د. هيثم الكيلاني*

* سوري، رئيس تحرير مجلة (شؤون عربية)

لم يكد ينقضي على قيام إسرائيل سوى أقل من خمسين عاماً، حتى حملت التربية والتعليم ومناهجهما[١] في إسرائيل ثلاثة أعباء ثقيلة:

١- عبء اليهودية وما أدخل عليها من تعديلات وإضافات، وما نسب إليها من روايات وأساطير.

٢-عبء الصهيونية التي زاد عمرها الآن على المائة عام، بدءاً من المؤتمر الصهيوني الأول (بال، سويسرا، ١٩٨٧) وما حملته من تزوير للتاريخ والحقائق والعقائد.

٣- عبء العلوم والتقنية والثقافة (التكنولوجيا) الحديثة، وما تحمله من تطورات وإنجازات وفتوحات متسارعة.

ويتصف نظام التعليم في إسرائيل بسمتين رئيسيتين: أولاهما أن الحكم المركزي، الذي تمثله وزارة المعارف، يسيطر على جهاز التعليم ويشرف إشرافاً مباشراً على العملية التربوية والتعليمية. وثانية السمتين ذلك التنوع وتعدد الجهات الرسمية وغير الرسمية التي تؤدي دوراً في تمويل المؤسسات التعليمية وإدارتها، ذلك أن الأحزاب السياسية والهيئات والمنظمات غير الحكومية تسهم في تشييد المؤسسات التعليمية وتطويرها، وتوفّر أنواعاً مختلفة من الخدمات، وتبرز التنوع في مؤسسات التعليم ومناهجه واتجاهاته، وتضيف إلى هذا التنوع مظاهر التعدد الأيديولوجي والسياسي والاجتماعي والمذهبي، وهي مظاهر تجسم مصالح مختلف فئات المجتمع الإسرائيلي.

فإذا اتجهنا إلى مجال التخطيط التعليمي والتربوي، وجدنا أنه يحمل أربع سمات في آن:

١ - الاهتمام بحاجات المجتمع ، وبخاصة الحاجات الاقتصادية والأمنية.

٢- ضمان حد أدنى من مستوى التعليم والمعرفة لكل فرد.

٣- عناية مركزة بالتعليم والتدريب والتأهيل المهني والتقني والثقافي.

٤- ضرورة إنتاج وتأهيل نخبة من العلماء والباحثين في مختلف المجالات،

وعلى الرغم من تعدد الجهات التي تسهم في العملية التعليمية، تتولى الدولة القيام بالدور الأساسي والحاسم في إدارة جهاز التعليم وتوجيهه، حتى أنها سيطرت على جهاز التعليم العربي ومدارسه الأهلية. وحولت جميع المدارس العربية إلى مدارس حكومية، باستثناء المدارس التابعة للطوائف المسيحية. وتدير الدولة، وبخاصة وزارة المعارف، جهاز التعليم من خلال توليها المهام التالية:

١- تطبيق القوانين والأنظمة المتعلقة بالتعليم.

٢- تمويل جهاز التعليم.

٣- الإشراف على عمل جهاز التعليم، وتوجيهه وتفتيشه بكل ما يتعلق بالإدارة ومناهج التعليم وطرائقه.

٤- تعيين المعلمين، وبخاصة أن جميع المعلمين في المرحلة الابتدائية

ومعظم المعلمين في المرحلة الإعدادية هم موظفون لدى الدولة.

ثمة عدة وزارات وهيئات ومؤسسات تشترك في عملية التعليم، نذكر منها: لجنة التربية والتعليم في الكنيست (البرلمان)، وزارة الثقافة، وزارة العمل والرفاه الاجتماعي، السلطات المحلية، والوكالة اليهودية، الهستدورت (نقابة العمال) . ويأتي قبل الجميع وفوق الجميع وزارة المعارف، فهي المسؤولة، من النواحي القانونية والسياسية والمهنية عن عمل جهاز التعليم.

وفي إسرائيل ثلاث فئات من المؤسسات التعليمية:

١- مؤسسات التعليم الحكومي: وتضم الأغلبية العظمى من المدارس.

٢- مؤسسات التعليم الحكومي- الديني: وترتبط بمدير يتبع وزير المعارف مباشرة.

٣- مؤسسات التعليم المستقل: وترتبط بالأحزاب الدينية الأرثوذكسية. ولا تتدخل الدولة بأمور هذه الفئة من المؤسسات إلا في حالات نادرة.

وللتعليم العربي في وزارة المعارف جهاز خاص، تديره دائرة المعارف العربية في الوزارة.

يخضع التعليم في إسرائيل لأربعة قوانين رئيسية:

١- قانون التعليم الإلزامي (١٩٤٩) : الذي يفرض على جميع الأولاد في سن ٥ إلى ١٥ سنة الالتحاق بالمدارس. ويكون تعلميهم مجاناً. أما بالنسبة إلى سن ١٦-١٧ سنة فالتعليم غير إلزامي ولكنه مجاني.

٢- قانون التعليم الحكومي (١٩٥٣) : الذي يلزم الدولة بإدارة التعليم في

جميع المؤسسات الرسمية.

٣- قانون مجلس التعليم العالي (١٩٥٨) : الذي يفرض على مؤسسة للتعليم فوق الثانوي أن تحصل على ترخيص من المجلس، ويخضعها لإشراف وزارة المعارف وتفتيشها.

٤- قانون الإشراف على المدارس (١٩٦٩): الذي يفرض على جميع مؤسسات التعليم أن تحصل على اعتراف وزارة المعارف بها، ويلزمها القبول بإشراف الوزارة وتفتيشها ومراقبة العملية التعليمية فيها.

المراحل التعليمية

يقسم التعليم في إسرائيل من بدايته إلى نهاية المرحلة الثانوية إلى خمس مراحل:

أ- مرحلة الطفولة المبكرة (٣أشهر وسنتان):

لا تدخل هذه المرحلة ضمن المراحل المعترف بها في نظام التعليم الرسمي. وعلى الرغم من ارتفاع تكاليف هذه الحضانات، يلتحق ٦٧٪ من الأطفال بها.

ب- مرحلة التعليم قبل الإلزامي(٣-٤ سنوات): وتبلغ نسبة الأطفال الذين يلتحقون بحضانات هذه المرحلة ٩٥٪ في سن ٣سنوات، و٩٩٪ في سن ٤ سنوات.

جـ- المرحلة الابتدائية (٦-١٣سنة): وينتسب إلى مدارس الحكومة هذه

٦٨,٥٪ من التلاميذ وإلى مدارس التعليم الحكومي- الديني٦,٢١٪، أما أقلية التلاميذ(٩,٩٪) فينتمون إلى المدارس التابعة للأحزاب الدينية الأرثوذكسية. وتشير الإحصاءات إلى أن قانون التعيم الإلزامي يطبق على ٩٨٪ من الأولاد في السن الملائمة للمرحلة الابتدائية. ويدرس التلاميذ في المرحلة الابتدائية مواد تتلائم والأهداف العامة التي حددتها وزارة المعارف. وهي تشمل ١٤موضوعاً إلزامياً على النحو التالي: الدين اليهودي، اللغة العبرية، الحساب والهندسة، الطبيعة، البيئة والزراعة، الوطن والمجتمع، الجغرافيا، التاريخ، المدنيات، اللغة الأجنبية (الإنكليزية أو الفرنسية) الأشغال اليدوية والتدبير المنزلي، الفنون ، الموسيقى والرياضة . ويحق للمدرسة أن تضيف موضوعات أخرى تختارها بنفسها (مثل : برنامج السلامة على الطرق)، « أما بالنسبة إلى المدارس العربية، فالمنهاج الإلزامي يشمل اللغة العربية أيضاً، ويستبدل الدين الإسلامي أو الدين المسيحي بموضوع الدين اليهودي.

د- المرحلة الإعدادية: ويطبق فيها منهاج يضم عشرة موضوعات: الدين اليهودي، اللغة العبرية، اللغة الأجنبية (الإنكليزية أو العربية)، الرياضيات، التاريخ والمدنيات، الجغرافيا العامة وجغرافيا إسرائيل، العلوم الطبيعية، موضوعات مهنية مختلفة، فنون ورياضة. وقد بدأ فرض اللغة العربية موضوعاً إلزامياً منذ العام ١٩٨٩، على أن تتحول إلى موضوع إلزامي في المرحلة الثانوية بالتدريج. والفارق الوحيد بين المدارس العربية والمدارس العبرية هو أن الأولى تدرس الدين الإسلامي أو الدين المسيحي بدلاً من

الدين اليهودي، وتدرج اللغة العربية في إعداد الموضوعات الأساسية.

هـ- المرحلة الثانوية: وهي تضم ثلاثة صفوف: العاشر، والحادي عشر، والثاني عشر. ومدارس هذه المرحلة مصنفة، حسب تخصصها، في أربعة أنواع:

١- مدارس ثانوية أكاديمية: وتختص بالتدريس النظري للموضوعات التي تؤهل التلاميذ بالإلتحاق بمؤسسات التعليم العالي. ويقسم التلاميذ في هذه المدارس إلى فرعين : أدبي وعلمي.

٢- المدارس المهنية: وتختص بتعليم المهن الفنية والثقافية (التكنولوجية)، وبالتدريب العملي الذي يؤهل المتخرجين للالتحاق بسوق العمل أو الالتحاق بالمعاهد فوق الثانوية.

٣- المدارس الزراعية: وتختص بتعليم التلاميذ المواد المتعلقة بالزراعة. وتؤهل قسماً منهم للالتحاق بالمعاهد العليا المتخصصة.

٤- المدارس الداخلية: ويقصد بها تلك المدارس التابعة لمنظمات أهلية. والقسم الأكبر من هذه المؤسسات مدارس دينية.

علاوة على ذلك، أضيفت إلى بعض المدارس الثانوية المهنية سنتان (الصفان الثالث عشر والرابع عشر)، بقصد تأهيل التلميذ للحصول على شهادة «فني» أو «هندسي» في موضوعات ثقافية مختلفة. والمعروف في إسرائيل أن التعليم المهني هو نصيب التلاميذ الذين هم من أصل شرقي (سفارديم)، وأن التعليم النظري- الأكاديمي هو من نصيب التلاميذ الذين

هم من أصل غير شرقي (اشكناز). وتبرز هذه الظاهرة على نحو خاص في مدارس التعليم الديني، حيث يشكل الشرقيون ٨٨٪ من تلاميذ هذه المدارس، حين أنهم يشكلون ٩٤٪ من تلاميذ المدارس الزراعية. ونشير هنا إلى أن في إسرائيل نخبة من المدارس الثانوية الأكاديمية التي يشكل خريجوها الصفوة الأكاديمية في إسرائيل، ويلتحقون بالكليات الجامعية النخبوية، ثم يحتلون المناصب العليا في الاقتصاد والسياسة والثقافة والإعلام والجيش والمؤسسات الاجتماعية والمنظمات الحربية. وفي مقابل هذا المستوى المرتفع في الجانب اليهودي من المجتمع الإسرائيلي، نلاحظ تدنياً في المدارس العربية الأكاديمية. فنسبة التلاميذ العرب الذين يجتازون امتحانات الشهادة الثانوية «البفروت- البكالوريا» لا تتجاوز ٣٤٪ في حين أن هذه النسبة تبلغ ٦٧٪ في القطاع اليهودي، أي ما يقارب الضعف.

و- التعليم العالي: يمكن تمييز ثلاثة أنواع من التعليم العالي في إسرائيل:

١- التعليم فوق الثانوي : ويضم معاهد لتعليم مهن محددة مثل، التعليم، الهندسة والثقافة، التمريض، المهن الطبية المساعدة، الإدارة، الاقتصاد، المعاملات المصرفية، الموسيقى والفنون، الإرشاد للشبيبة والعمل الاجتماعي.

٢- التعليم العالي غير الجامعي: ويشمل عدداً كبيراً من المهن والموضوعات التي تدرسها مؤسسات حصلت على اعتراف مجلس التعليم العالي بها . ولا تمنح هذه المؤسسات لقباً جامعياً.

٣- التعليم الجامعي: ويضم مؤسسات تمنح لقباً جامعياً معترفاً به يعطي في عدد من المعاهد والكليات والجامعات. وأهم ما في هذا الإطار ثماني مؤسسات جامعية هي: الجامعة العبرية في القدس، معهد الهندسة التطبيقية (التخنيون) في حيفا، جامعة تل أبيب، جامعة بار- إيلان، جامعة حيفا، جامعة بن غوريون في بئر السبع، معهد وايزمن للعلوم في رحوفوت، الجامعة المفتوحة.

وبحسب المعلومات المتوافرة، يتقدم للالتحاق بالجامعات سنوياً حوالي ٢٥ألف طالب، يقبل منهم ٧٠٪ تقريباً (الاغلبية من الاشكناز ثم اليهود الشرقيين ثم العرب). أما الذين يستطيعون الحصول على اللقب الجامعي في الفترة المحددة (٣ أو ٤ سنوات حسب التخصص) فتبلغ نسبتهم ٤٠٪ فقط من الطلاب الذين يبدؤون دراستهم الجامعية.

المعاهد ومراكز البحوث

إلى جانب الجامعات وما فيها من كليات ومعاهد علمية متخصصة، ومراكز للبحث والتطوير، ثمة مؤسسات علمية أخرى، تشكل بمجموعها القاعدة العلمية والثقافية في إسرائيل. وفي هذا الصدد نشير إلى: وحدة الأبحاث العسكرية، والأقسام الحديثة التي أضيفت إلى معهد دايزين (الرياضيات التطبيقية، علم البلوّرات، النظائر المشعة، الفيزياء الحيوية)، ومختبر الفيزياء الإسرائيلي، ومركز الأبحاث الصناعية في جامعة حيفا، والهيئة القومية للأبحاث والتطوير، ومركز أبحاث الأقمار الصناعية بجامعة

بار- إيلان، ومركز الثقافة الحيوية.

تركّز البرامج التعليمية في إسرائيل، في مختلف مراحلها ومستوياتها، على العلوم والتقانة (التكنولوجيا)، ذلك أن الحركة الصهيونية أدركت، منذ البداية، أهمية العلم وإنتاجه من التقانة في تفوقها النوعي، انطلاقاً من أن عدد السكان وتوافر المواد الخام ليس المقياس الوحيد لقوة الدول في العصر الحديث. وعلى هذا جرى التوجه في إسرائيل نحو بناء المؤسسات التعليمية والعلمية والثقافية لصناعة العقول البشرية القادرة على استيعاب وتطوير البحث العلمي والتقدم الثقافي.

ولنأخذ بعض الأمثلة من بعض الجامعات الإسرائيلية، بشأن العلاقة العضوية بين البرامج التعليمية من جهة والعلوم والتقانة ومتطلبات المجتمع والتخطيط العلمي والتقاني المتقدم من جهة أخرى:

١-في جامعة بن غوريون هيئة للبحث والتطوير، تضم حوالي ٣٠٠ عالم، ومعهد لابحاث النقب فيه ١٥٠عالماً. وفي الجامعة حاسوب مركزي ذو فروع كثيرة يبلغ عددها أكثر من مئة فرع.

٢- في جامعة حيفا مختبر وحاسوب لاختبارات الطاقة الإدراكية البشرية ودرس الاتصال بين الإنسان والآلة في مجال علم النفس الإدراكي والاجتماعي والفيزيولوجي.

٣- يركز معهد وايزمن على أبحاث الكيمياء وعلوم الأحياء الدقيقة، والرياضيات التطبيقية، وعلم البلورات والنظائر المشعّة، والفيزياء الحيوية. والإلكترونيات، والفيزياء النووية، وعلم الوراثة، وبيولوجيا الخلية، والمناعة

الكيميائية، والكيمياء الحيوية، وبذلك أصبح المعهد واحداً من المعاهد العلمية المرموقة في العالم. ويجري سنوياً بين ٤٠٠ و٥٠٠ برنامج بحثي أساسي وتطبيقي. ويعمل فيه ما يزيد على ٥٠٠عالم، ويستضيف سنوياً قرابة ١٠٠عالم من مختلف أنحاء العالم. ويدرس فيه حوالي ٧٥٠ طالباً في برامج الماجستير والدكتوراه.

٤- تتركز العملية التعليمية في معهد التخنيون على التخصصات الهندسية، كمثل عمليات الاحتراق في محركات الصواريخ، وإنتاج الطائرات. ويقوم الجيش الإسرائيلي بتغطية ٥٠٪ من تكاليف أبحاث المعهد في مقابل قيامه بأبحاث لمصلحة القوات الجوية والقوات البحرية. وتبلغ نسبة الضباط المهندسين الذين يعملون في مجال الأبحاث فيه ٣٠٪ من مجموع الباحثين في القطاعات الهندسية في المعهد. كما أن لـ٨٠ ٪ من هذه الأبحاث تطبيقات عسكرية.

بلغ عدد أعضاء الهيئة التدريسية والفنية في الجامعات ومعاهد الأبحاث في السنة الدراسية ١٩٩٢-١٩٩٣ما مجموعه٤٦٨٦ من الأساتذة والأساتذة المشاركين والمساعدين والمدرسين. ويساعد هؤلاء عددٌ كبير من أفراد الهيئة التدريسية ومساعدي البحث والتدريس والفنيين والإداريين وآخرين يبلغ مجموعهم ١٣٣٧٤، ويتضح لنا من هذه الإحصاءات ومن عدد الطلاب الدارسين في الجامعات ومعاهد الأبحاث (٨٤٩٩٠طالباً) أن نسبة الهيئة التدريسية إلى الطلاب هي ١٨/١، وأن نسبة العاملين في هذه الجامعات والمعاهد هي ٤,٧/١.

ومن بين أعضاء الهيئة التدريسية والفنية والإدارية في الجامعات الإسرائيلية يعمل ١١٦١٥ في مجال البحث والتطوير في الصناعة، منهم ٦٢٨٧ في مجال الإلكترونيات، أي أن نسبة العاملين في الإلكترونيات تبلغ ١٠,٥٤٪ من مجموع الباحثين في مجال الصناعة، في حين تصل نسبة الباحثين في مجال الأبحاث الكيميائية إلى٢,١٢٪. وتعكس هاتان النسبتان الاهتمام الزائد بالبحث والتطوير في هذين المجالين في المستوى الجامعي.

وفي السنة الدراسية ١٩٩٣-١٩٩٤، بلغ عدد طلاب الجامعات الإسرائيلية ٩١٤٨٠، بلغت نسبة الطلاب المسجلين في الدرجة الجامعية الأولى (البكالوريوس) ٦٩٪ منهم ، وفي الدرجة الجامعية الثانية (الماجستير) ٢٤,١٪ وفي الدرجة الجامعية الثالثة (الدكتوراه) ٥,٦٤٪، وفي الدبلوم ١,٢٦٪، ويشكل عدد الدارسين في مختلف المراحل في الكليات العلمية (الطب، العلوم الأساسية والحاسوب، الزراعة، الهندسة) ٤٠٪ من مجموع الطلاب الملتحقين بالجامعات في تلك السنة.

وعلى الرغم من أن العرب في إسرائيل يشكلون ١٥,٥٪ من مجموع السكان، فلا تتناسب نسبة الطلاب في الجامعات مع نسبتهم السكانية. ففي السنة الدراسية ١٩٨٩-١٩٩٠، بلغت نسبة الطلاب العرب في مختلف الاختصاصات في المرحلة الجامعية الأولى٤,٧٪، وفي المرحلة الجامعية الثانية ١,٥٪، وفي المرحلة الجامعية الثالثة ٤٪ من مجموع الطلاب الدارسين. وتعكس هذه النسب انعدام العدالة في فرص التعليم الجامعي للطلاب العرب في إسرائيل.

وتدل الأرقام على أن عدد العاملين في مجال التدريس الجامعي والبحث العلمي، بشقيهما الأساسي والتطبيقي، يبلغ ٢٣٧٨٥عالماً ومهندساً وفنياً. ويعني هذا أن هناك نحو ٤٥ إسرائيلياً من كل عشرة آلف إسرائيلي يعملون في هذه المجالات. وهي نسبة تعتبر من أعلى النسب في العالم.

تنفق إسرائيل حالياً نحو ٣٪ من إجمالي الناتج على الأبحاث العلمية والتطوير، وهو ما يضعها ضمن قائمة الدول المتقدمة والأكثر إنفاقاً في هذا المجال. وإذا أخذنا كلاً من الجامعات على حدة، نجد أن نصيب أبحاث العلوم الأساسية والرياضيات يفوق نصيب أي فرع آخر من فروع المعرفة، حتى أن معهد وايزمن للعلوم ينفق٩٩,٩٪ من ميزانيته على هذا المجال. ويضاف إلى ما تنفقه إسرائيل من ميزانيتها بصورة مباشرة على البحث العلمي والتطوير، الروافد الكثيرة الأخرى لتمويل هذه المجالات، وبخاصة من خلال مساهمة إسرائيل في مشاريع البحث والتطوير العلمية في أوروبا والولايات المتحدة .

الجدول رقم ١

المؤسسات والتلاميذ في جهاز التعليم الرسمي حتى نهاية المرحلة الثانوية (١٩٩٣–١٩٩٤)

نوع	التعليم اليهودي		التعليم العربي	
المؤسسة	مؤسسات	تلاميذ	مؤسسات	تلاميذ
رياض الأطفال	(ضمن الابتدائية)	٢٨٦,٦٠٠	(ضمن الابتدائية)	٢٤,٨٠٠
المدارس الابتدائية	١٤٩٦	٥٣٣,٩١٩	٤٨٨	١٤٣,٤٨٥
المدارس الإعدادية	٣٣٩	١٣٩,٧٠٧	٩٢	٣٨,٢٢٠
المدارس الثانوية	٦٠١	٢٤٣,٤٧٦	٩٩	٤٣,٢٤٧

الجدول رقم ٢

التلاميذ اليهود والعرب في المرحلة الثانوية (١٩٩٣–١٩٩٤)

	التلاميذ اليهودي	التلاميذ العرب
النظري - الأكاديمي	١٢٢,٤١٨	٣٢,٣٣٧
صفوف استكمال	٩٢٤٧	---

الجدول رقم ٣

طلاب الجامعات في اسرائيل (١٩٩٣–١٩٩٤) بحسب التخصص والدرجة

التخصص	دبلوم	بكالوريوس	ماجستير	دكتوراة	المجموع
آداب	٩٠٧	١٦٨٠٣	٥١٨٦	١١٦٥	٢٤٠٦١
علوم اجتماعية	١٣٥	١٦٦٢٤	٧٤٢٢	٥٢١	٢٤٧٠٢
حقوق	—	٢٨٦١	٢١٦	٤٩	٣١٦٢
طب	٣٩	٣٧٩٦	٢٢٠٧	٢٤٠	٦٢٨٢
رياضيات وعلوم طبيعية ودقيقة	١٩	٩١٤٤	٢٧١١	٢٢٤٢	١٤١١٦
زراعة	—	٧٦١	٤٣٥	٢٠٥	١٣١١
هندسة	—	٨٧٣١	٢١٥٣	٥٠٨	١١٣٩٢
المجموع	١١٠٠	٥٨٦٣٠	٢٠٣٣٠	٤٩٣٠	٨٤٩٠٠

مرجع الجداول الثلاثة: دليل إسرائيل العام.

(١) المراجع الرئيسية لهذه المقالة:

أ- الأبعاد التربوية للصراع العربي- الإسرائيلي (وقائع مؤتمر)، مركز دراسات الوحدة العربية، جامعة الكويت، ١٩٨٦ .

ب- دليل إسرائيل العام، مجموعة باحثين (تحرير صبري جريس، أحمد خليفة): وبخاصة مقالتا نزار الريّس وعزيز حيدر، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ١٩٩٦ .

ج- إسرائيل وهويتها الممزقة، عبدالله عبدالدائم: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٦ .

د- Statistical abstract of Israel, 1994.

التربية والتعليم عند الجماعات اليهودية

د.هدى حجازي*

* مصرية، أستاذ مساعد أصول التربية كلية البنات - جامعة عين شمس

إن «تربية يهودية» مصطلح يفترض وجود شعب يهودي أو تاريخ مشترك ومصير مشترك، ومن ثم يصبح له نوع خاص ومتميز من التربية. إلا أن هذا الافتراض لا تدعمه الحقائق التاريخية، ومن ثم فمقدرته التفسيرية والتصنيفية منخفضة للغاية. فمن المعروف أن أعضاء الجماعات اليهودية لم يكونوا شعباً واحداً باستثناء فترة قصيرة من تاريخهم، أي منذ استقرارهم في كنعان (فلسطين) في حوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد، حتى تهجيرهم إلى بابل في حوالي القرن السادس قبل الميلاد. وفي خلال هذه الفترة، كوَّن العبرانيون شعباً أو قوماً له سمات اثنية محددة وديانة مرتبطة بالمكان (فلسطين) ويجمعه إطار ثقافي واحد ويتحدث لغة مشتركة. ورغم أن العبرانيين احتفظوا ببعض السمات الاثنية بعد العودة إلى فلسطين، إلا أننا نجد أن انتشارها في البلدان المختلفة بدأ أيضاً في خلال هذه الفترة، وظهرت تجمعات يهودية كبيرة في كل من بابل والإسكندرية لها ظروفها الثقافية المحددة وحركاتها المختلفة عن حركيات العبرانيين في فلسطين، ومن ثم لها مؤسساتها التربوية التي تلبي احتياجاتها باعتبارها أقلية لها أوضاعها الثقافية والحضارية المتعينة، ولهذا فيمكننا أن نتحدث عن «التربية العبرانية» أو عن «التربية عند العبرانيين». وقد قسمنا هذه المرحلة إلى فترتين. قبل التهجير إلى بابل، وبعد العودة من بابل، ذلك أنه رغم وجود وحدة ثقافية تسم التشكيل

الحضاري العبراني، إلا أن ثمة تحولاً جوهرياً حدث للعبرانيين عند تهجيرهم إلى بابل، وهو تحول انعكس على مؤسساتهم التربوية المدرسية وغير المدرسية، فقد أوجد العبرانيون اليهود منذ عودتهم من بابل، وتحت تأثير تجربة التهجير والمعيشة في إطار الحضارة البابلية، حتى سقوط الهيكل عام ٧٠م، المؤسسات التربوية الثلاث اللازمة لتطوير ونقل ونشر الديانة اليهودية، وهي: تنظيم الكتبة والحلقات التلمودية، والمعبد اليهودي، ثم أخيراً المدرسة الأولية التي ظهرت تحت التأثير الهيليني كرد فعل له. وخلال هذه الفترة، حاول سيمون بن شيتا (٧٥ق.م) نشر التعليم بين الشباب، ثم جاء يوشع بن جمالا (٦٥ق.م) بقرار جعل التعليم إجبارياً وتعميمه مجاناً.

ومع سقوط الهيكل عام ٧٠م على يد تيتوس، أصبح من المستحيل التحدث عن «الشعب العبراني» أو عن «الثقافة العبرانية»، ومن ثم أصبح من المستحيل الحديث عن «التربية العبرانية». ونظراً لتنوع أحوال وتجارب واحتياجات الجماعات اليهودية، لا يمكن الحديث عن «تربية يهودية» باعتبارها كياناً فكرياً واحداً أو عن «مدرسة يهودية» باعتبارها نمطاً مؤسساً متكرراً، وإنما يمكن الحديث عن «تربية وتعليم أعضاء الجماعات اليهودية في العصر الهيليني» أو «تربية وتعليم أعضاء الجماعات اليهودية في العصور الوسطى في الغرب».. وهكذا، أي بنسبة الجماعة اليهودية إلى مكان وزمان محددين. وبذلك نكون قد نحتنا مصطلحات وصغنا مقولات تحليلية لها مقدرة تفسيرية وتصنيفية عالية.

ولتوضيح هذه النقطة يمكن أن نشير على سبيل المثال إلى يهود الإسكندرية في العصر الهيليني الذين تأغرقوا بشكل سريع، وانضم أطفالهم وشبابهم إلى المدارس الهيلينية، بل وأقاموا صلواتهم وتعلموا مبادئ دينهم باللغة اليونانية من خلال الترجمة السبعينية، أما أعضاء الجماعات اليهودية في بابل، فتبعث تربيتهم نمطاً مختلفاً لتكون التشكيلات الامبراطورية المختلفة في هذه المنطقة، فأرسل أعضاء الجماعات اليهودية أطفالهم إلى مؤسسات تعليمية خاصة بهم، كما قدمت الحلقات التلمودية في بابل فيما بعد إسهامات في تطوير التراث الديني اليهودي المتمثل في التلمود البابلي.

وبمجيء العصور الوسطى في الغرب والتشكيل الإسلامي في الشرق، أصبحت الحضارات التي يعيش اليهود بين ظهرانيها أساساً حضارات دينية توحيدية، حيث ساد الدين الإسلامي في الشرق الأوسط والأندلس، وسادت الديانة المسيحية في أوروبا. وقد مثل الدين وعلومه المختلفة محوراً أساسياً للدراسة في المؤسسات التعليمية لشعوب هذه البلدان. ولم يختلف الوضع بالنسبة إلى الجماعات اليهودية التي عاشت في هذه المناطق، فكونت العقيدة اليهودية وكتبها المقدسة المادة الأساسية التعليمية للجماعات اليهودية، ومع هذا نجد أن مناهج التعليم وأساليب التدريس اختلفت من جماعة يهودية إلى جماعة يهودية أخرى، طبقاً للأوضاع الثقافية والحضارية للشعوب التي عاشت بينها، وطبقاً لوضع الجماعة نفسها. ففي أوروبا حيث تدنت الأوضاع الثقافية للبلدان الأوروبية، ودعمت نظم الإدارة

الذاتية عزلة الجماعات اليهودية الثقافية، تدنى مستواهم الثقافي وتخلف مستواهم التعليمي، واقتصرت مؤسساتهم التعليمية على تدريس الكتب الدينية، وعلى تأكيد التوافه من أمور دينهم واستخدام أسلوب من الجدل العقيم في التدريس، كما تخلفوا عن تحصيل العلوم والمعارف التي بدأت تأخذ طريقها إلى الحضارة الأوروبية منذ عصر النهضة. أما في بلدان العالم الإسلامي، فقد ازدهرت ثقافة الجماعات اليهودية تحت تأثير الحضارة الإسلامية وشارك أعضاؤها في النهضة الثقافية والعلمية.

ولكونهم أهل ذمة، سُمح لهم بكثير من الحريات وأحسنت معاملتهم اجتماعياً وثقافياً، ومن ثم فإن عزلتهم لم تكن على نحو ماكانت عليه عزلة الجماعات اليهودية في بلدان أوروبا. وبطبيعة الحال، أثرت هذه الأوضاع على ثقافة الجماعات اليهودية ومؤسساتهم التعليمية. ورغم أن الدراسات الدينية احتلت مركزاً مرموقاً فيها، إلا أن المنهج التعليمي لم يقتصر عليها، بل اتسع ليشمل كثيراً من المعارف والعلوم، فاحتوى على اللغة العربية والقواعد والشعر والمنطق والبلاغة والرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية والميتافيزيقا. كما ظهر بين الجماعات اليهودية في العالم الإسلامي أدب مكتوب عن التربية والتعليم أخذ شكل فصول من كتب أو وصايا أو تعليقات. وكان من أهم المفكرين الذين كتبوا عن التربية يوسف بن عكنين (شمال إفريقيا). ويهود ابن عباس في الأندلس. ولم تختلف مناهج الدراسة كثيراً بين الجماعات اليهودية في كل من إيطاليا وجنوب فرنسا.

وإذا كان التعليم الديني قد شكل محوراً رئيساً وعنصراً مشتركاً بين

مؤسسات التعليم للجماعات اليهودية خلال العصور الوسطى في الغرب، وفي العصر الإسلامي الأول والثاني في العالم الإسلامي، فإن هذا العنصر يختفي تدريجياً ويزداد التنوع وعدم التجانس في تربية وتعليم أعضاء الجماعات اليهودية منذ أواخر القرن الثامن عشر، حيث بدأت المجتمعات الأوروبية تدخل مرحلة تصاعدت فيها تدريجياً وتيرة التصنيع والتحديث، الأمر الذي أدى إلى ظهور الدولة القومية العلمانية المركزية التي طالبت أعضاء الجماعات اليهودية بأن يندمجوا في المجتمعات التي يعيشون فيها، وأن يدينوا لها وحدها بالولاء. وأدرك حكام أوروبا المستنيرون أن تحديث وعلمنة تربية وتعليم أعضاء الجماعات اليهودية هو انجح الوسائل لتحقيق هذا الهدف ففتحت أمام اعضاء الجماعات اليهودية أبواب التعليم الحكومي العلماني، كما سمح لهم بتأسيس مدارس علمانية خاصة بهم، الأمر الذي دفع المثقفين اليهود من دعاة حركة التنوير (مكلاه) إلى تحديث التعليم اليهودي التقليدي، فقاموا بتأسيس عدد من المدارس اليهودية التي جمعت مناهجها بين المواد العلمانية والمواد الدينية، كما شجعوا أعضاء الجماعات اليهودية على إرسال أولادهم إلى المدارس الحكومية، وكان أهم دعاة هذا الاتجاه هم موسى مندلسون ونفتالي هرتزفيسلي وغيرهما، ومنذ ذلك الوقت، تزايد إقبال أعضاء الجماعات اليهودية على التعليم الحكومي العلماني، وكذلك إقبالهم على المدارس الخاصة بهم، كما تم تهميش التعليم الديني والاقتصار على المدارس التكميلية التي كان يحضرها التلاميذ بعد حضورهم المدارس الحكومية. حتى المدارس التلمودية العليا (يشيفا) ذاتها

التي تخرج الحاخامات والمتخصصين في مجال الدين، هبت عليها هي الأخرى رياح التطوير والتحديث. ومع هذا، يلاحظ أنه داخل التشكيل الحضاري الأوروبي، اتخذت عملية تحديث تربية وتعليم أعضاء الجماعات اليهودية أشكالاً مختلفة. ففي أوروبا الغربية، تمت عملية التحديث دون مقاومة. أما في شرق أوروبا وفي روسيا القيصرية، فإن عملية تحديث التعليم حققت نجاحاً في بدايتها، إلا أن تعثر عملية التحديث (في المجتمع ككل) في نهايات القرن التاسع عشر أدى إلى تزايد اغتراب أعضاء الجماعات اليهودية وتزايد انخراطهم في الحركات الثورية والعمالية اليهودية التي أشرفت على إقامة سلسلة من المؤسسات التعليمية الخاصة بها، والتي اتسمت بتوجهها العلماني الاثني - اليديشي أو الصهيوني. غير أن قيام الثورة البلشفية وبناء الدولة السوفيتية أنهى هذا الوضع في روسيا. أما في بولندا وسائر بلدان أوروبا الشرقية، فقد تزايدت هجرة أعضاء الجماعات اليهودية إلى الأمريكتين.

وإذا ما نظرنا إلى الجماعات اليهودية في العالم الإسلامي، وجدنا أن تطور مؤسساتهم التعليمية اتبع نمطاً مغايراً عن مثيلاتها في مجتمعات أوروبا حيث تمت عملية تحديثها في مرحلة متأخرة (وبعد وصول القوات الغربية الإمبريالية)، ونجم عن ذلك تحويل أعضاء الجماعات اليهودية إلى جماعات وظيفية وإلى مادة استيطانية تابعة للغرب. وقد اتبع تحديث المؤسسات التعليمية اليهودية في الهند نفس النمط الذي اتبعه في العالم الإسلامي. أما الجماعات اليهودية في إثيوبيا فقد اتبعت نمطاً مخالفاً للأنماط السالفة الذكر. وفي المجتمعات الاستيطانية، تأثرت تربية وتعليم

الجماعات اليهودية بطبيعة المجتمع الاستيطاني نفسه. ففي الولايات المتحدة، التي اتسمت باقتصادها الحر المفتوح وتربيتها العلمانية ونظامها التعليمي الحكومي المجاني، تمت عملية تحديث تربية وتعليم أعضاء الجماعات اليهودية بسهولة كما تم إكسابهم الهوية الأمريكية، أما في بلاد أمريكا اللاتينية فقد اتبع تطوير تربية وتعليم الجماعات اليهودية شكلا مخالفاً، إذ اتجهت كل جماعة يهودية إلى إقامة مؤسساتها التعليمية الخاصة بها، فكثر عدد مدارس اليوم الكامل اليهودية التي يتلقى فيها الأطفال تعليماً يهودياً بعيداً عن تأثير المدارس العامة ذات التعليم الكاثوليكي، واتسمت هذه المدارس بتوجهها الإثني الصهيوني. ولم يختلف نمط تربية وتعليم الجماعات اليهودية في كندا وجنوب أفريقيا كثيراً عن نمط أمريكا اللاتينية.

ومن الملاحظ أن الجماعات اليهودية المختلفة لم تقدم فلاسفة أو مفكرين تربويين لهم ثقلهم الفكري العالمي في مجال التربية، وذلك رغم إنجازات بعض أعضاء الجماعات اليهودية في المجالات الأخرى. فمعظم المفكرين اليهود الذين كتبوا عن التربية تبعوا النظريات والاتجاهات الفكرية والتربوية أو عالجوا المشكلات التربوية التي تمس الأوضاع التربوية القائمة في المجتمعات التي ينتمون إليها، ومن الصعب وصف إنجازاتهم الفكرية بأنها ذات مضمون يهودي. فحيكوب بريير تربوي فرنسي، هو أول من اهتم بتعليم الصم البكم، وجوزيف فيرتير تربوي نمساوي اتبع الاهتمام الفكري السائد في أوروبا آنذاك بطفل ما قبل المدرسة وأسس دور حضانة في النمسا، بينما نجد بانوس كورساك البولندي أبدى اهتماما بالأطفال الأيتام

وأنشأ لهم ملجأ وكتب عن كيفية فهم الطفل ومعاملته. وفي الولايات المتحدة، أبدى ابراهام فلكسنر اهتماما بتعليم الطب وقدم تقييما لكليات الطب في الأمريكتين وكندا ثم في أوروبا. يعد كل من لورانس كرين واسحق بركسون من اتباع التربية التقدمية. أما إسرائيل شيفلر، فهو رائد من رواد مدرسة التحليل الفلسفي في التربية.

المناهج الإسرائيلية في سياق التشويه الغربي

د. سعد البازعي*

* سعودي، أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة الملك سعود بالرياض.

وصلتني بعض المطبوعات البحثية العربية حول التعليم في إسرائيل منها «التعليم ومستقبل المجتمعات الإسلامية في التخطيط الإسرائيلي» لماجد عرسان الكيلاني، و«التعليم الخاص اليهودي والمسيحي والإسلامي» لعبدالله عبدالسلام القطشان، ووجدتني بعد مطالعة هذه وغيرها مشدوداً إلى عنصرين أحسبهما من أكثر ما تضمنته تلك المطبوعات بروزاً:

الأول: الصورة العربية في مناهج التعليم الإسرائيلية.

الثاني: قدم وحجم مؤسسات التعليم العالي في إسرائيل.

وأود فيما يلي أن أقدم بعض الملاحظات كهوامش على العنصرين المشار إليهما.

يستثير العنصر الأول لديَّ العديد من الملاحظات، لأنه يدخل في صميم اهتماماتي الأكاديمية كباحث في تشكل الصورة الثقافية للآخر، أي الكيفية التي تنظر بها ثقافة ما لثقافة أخرى، ونوع التصورات المتبلورة نتيجة ذلك، ثم تأثيرها في النتاج الثقافي عموماً. فقد عملت على هذا الموضوع في سياق الثقافة الغربية من زاوية أدبية في أطروحتي للدكتوراه، ثم واصلت العمل في أبحاث تالية نشر معظمها. الذي يستوقفني هنا ليس الموضوع من زاويته النظرية البحتة، لأن التعليم في إسرائيل قريب لنا جداً من ناحية تأثيره في واحد من أكبر التحديات الحضارية والسياسية التي يواجهها

العالم العربي حالياً، ثم إنه متصل باهتماماتي البحثية من حيث إن إسرائيل ليست في نهاية المطاف سوى عنصر من عناصر التشكيل الحضاري الغربي عموماً، وما يمكن أن يقال عن تشكل الصور في الثقافة الغربية يمكن أن يطبق وإلى حد بعيد على تشكل الصور في الثقافة الإسرائيلية. ويكفي أن نتذكر أن «الكتاب المقدس» في المسيحية هو التوراة والإنجيل، أي العهدين القديم والجديد، بمعنى أن الطالب المسيحي الغربي حيثما كان في أوروبا وأمريكا يتعلم أن أقدس الكتب لديه -وهو الإنجيل- لا معنى له بدون التوراة، أي أن ثمة كتاباً مشتركاً مع الإسرائيليين يربطه بهم رباط ثقافة مصيرية.

لقد كان من الطبيعي أن يكون لـ «الكتاب المقدس» (البايبل) بعهديه المعروفين منذ العصور الوسطى على الأقل دور في تشكيل المخيال الغربي إزاء الشرق العربي الإسلامي، والآداب الغربية في عصورها المختلفة منذ دانتي في القرن الثالث عشر حتى بورخيس في أواخر القرن العشرين تتأثر على نحو ما بما يتراكم في ذلك المخيال (أو مجموع الصور في ذهنية الثقافة).

فمنذ انقسام العالم إلى مؤمن وكافر في الذهنية المسيحية الأوروبية كان موقع المسلمين واضحاً. وكانت واضحة أيضاً التحديدات والتسميات في الذهنية الغربية، فالعرب أو المسلمون إما وثنيون كما في الملاحم الفرنسية الأولى أو هم «السرواسين» أو «الإسماعيليين» (نسبة إلى إسماعيل عليه السلام) أو «المحمديين» أو غير ذلك في ما تلا من عصور (كالإرهابيين).

وحين امتدت الثقافة الغربيةإلى الولايات المتحدة الأمريكية في القرن السابع عشر تطور عنصر آخر على نحو غير مسبوق كما يبدو، وهو وصف الشعب الأمريكي الجديد في بعض أدبيات الثقافة الجديدة، ومنها المطولات

الشعرية على أنه «الشعب الإسرائيلي» ووصف أمريكا على أنها «أرض الميعاد» أو فلسطين. وواضح في ذلك مدى التلاحم في الخطاب الثقافي عموماً والأدبي التربوي بوجه خاص بين المسيحي واليهودي.

تنقلنا هذه اللمحات الخاطفة إلى الامتداد الأخير للثقافة الغربية لإسرائيل، وإلى تطور غير مسبوق بكل تأكيد وإن كان طبيعياً. فالصور المشوهة للمسلمين عموماً والعرب بوجه خاص هو الطبيعي، لأن من خصائص تشكل تلك الصور هي أنها تخدم مصالح عليا يعبر عنها الخطاب الثقافي السائد، ولا تجدي معها دعوات الاعتدال. لكن المتوقع -والحاصل فعلاً كما يتضح من البيانات والجداول المنشورة- هو تكثف التشويه وتنظيمه. فكما أشارت بعض المطبوعات التي وصلتني حول التعليم في إسرائيل، يرى المخططون التربويون الإسرائيليون أن بعض الأفكار المبثوثة في مناهج التعليم هناك حول الفلسطينيين من شأنها دعم التوازن النفسي لدى الطفل الإسرائيلي الذي يعرف عن طرد أولئك من أراضيهم، والكيفية التي يعاملون بها باستمرار. إننا بتعبير آخر أمام مجتمع يصوغ نفسه لقتال متواصل، يهيئ أطفال المدارس لحرب ثقافية قبل أن تكون عسكرية.

لكن السؤال الذي يُطرح أمامنا هنا، ولضرورة منطقية، هو: ألا يتعارض التشويه المتعمد مع ضرورات المعرفة الصحيحة التي يهتم بها الإسرائيليون بحكم حاجتهم لمعرفة واقع عدوهم؟ أليسوا بتشويههم المتواصل للعرب كهمجيين ومتوحشين، وما إلى ذلك، يخلقون معرفة غير دقيقة في ذهن طلابهم، معرفة قد تنهار في وجه الحقيقة؟ هذا السؤال يقود إلى التأمل في العنصر الثاني الذي أشرت إليه، وهو التعليم العالي في إسرائيل الذي

أشير إليه فيما يلي دون أن يسعفني ما قرأت بإجابة شافية حول السؤال المطروح. لكنني سأعتمد على منطقية الاستنتاج لاقتراح الإجابة.

إن المعلومات المتوافرة حول التعليم العالي في إسرائيل كفيلة بتأكيد مقولة أن إسرائيل عبارة عن مجتمع غربي أساساً نقل بخبرات الحضارة الغربية إلى وسط حضاري ينتقل ببطء إلى مستجدات الحضارة الحديثة. فضخامة وقدم الجامعات ومؤسسات الأبحاث الإسرائيلية لا تدل على شعب نام، وإنما على مجتمع جاء مكتمل النمو تقريباً. ومن شأن هذه المعلومة أن تزيل عنا الشعور بالإحباط عند المقارنة، فالجامعة العبرية أكثر تقدماً من معظم -إن لم يكن كل- الجامعات العربية ليس لشيء كامن في اليهود، وإنما لأنها تشكلت بالخبرات الطويلة التي شكلت (كمبردج) أو(بيل) أو (هارفارد). وإذا كانت تلك الجامعة وغيرها من معاهد البحث العلمي الإسرائيلي تتفوق باستمرار، فلأن ثمة علاقة توءمية حميمة بين تلك الجامعات والمعاهد ونظيراتها في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية: تبادل أساتذة، أبحاث مشتركة، مطبوعات متبادلة، دعم مالي غير محدود، خبرات متداولة، وأسس منهجية وفكرية واحدة أساساً، إلخ.

لكن لو عدنا إلى موضوع الصور المشوهة، فهل من المحتمل استمرار نفس القدر من التشويه في المناهج التعليمية العالية في إسرائيل؟ لا شك أن قراءة تاريخ المنطقة وجغرافيتها وتكويناتها المجتمعية ستختلف في جامعة إسرائيلية عن نظيراتها العربية، بل وعما في نظيراتها الغربية. هنا سيُقرأ التاريخ والجغرافيا والثقافة عموما من منظور يخدم الصالح الإسرائيلي العام، وهو ما يحدث في كل مكان وإن بصور متفاوتة. لكن من الصعب

تصور أن القدر من التشويه الذي يُدَّرس في الابتدائية سيُدَّرس في الجامعة. هنا سيستمر العرب في تخلفهم ووحشيتهم، ولكن من الطبيعي أن يتوجه العلم والبحث إلى قدر أكبر من الدقة في استكشاف الواقع، وإن لم يؤد ذلك إلى إلغاء كل ما هو سلبي في التصورات الإسرائيلية. هنا ستتعدل الصور لكنها ستظل سلبية أساساً. المهم هو في التعديل والوسيلة التي يتبعها الإسرائيليون لذلك. فالبحث على أرض الواقع ودعم ذلك البحث مادياً ومعنوياً ضروري، وفي علمي أن إسرائيل تنفق في هذا السبيل أكثر مما تنفقه الدول العربية- وأخشى أن أقول مجتمعة-فمراكز البحث الإسرائيلي تركز على العالم العربي وما لديهم من إحصائيات ومعلومات (بعضها يأتي من مراكز البحث الغربية بكل تأكيد) يفوق ما لدينا عنهم، بل ربما فاق ما لدينا عن بعض جوانب واقعنا. والقرار الأخير في تعليم اللغة العربية لمئة وستين ألف طالب يهودي في إسرائيل (الشرق الأوسط في ١٤١٧/٧/٢٥هـ) يأتي في سياق توسيع قاعدة المعرفة الأولية لعدوهم.

إن من الضروري أن يستثير فينا كل هذا تساؤلات كبيرة ومهمة عما عملنا نحن في محاولتنا التعرف على إسرائيل. هل أنشأنا معاهد الأبحاث ومراكز المعلومات التي تناسب حجم الصراع مع إسرائيل أو مع من تنتمي إليهم في الغرب؟ هل عدلنا في مناهجنا الدنيا أو العليا بما يتناسب مع حجم المعرفة المطلوبة؟ ربما كان هناك واحد أو اثنان من هذه المعاهد، وربما كان هناك بعض التعديل والإضافة، لكنني أشك في كفايتها، والعمل على أية حال لا ينبغي أن يتوقف.

العرب في عيون الإسرائيليين

فهمي هويدي*

* مصري، كاتب صحفي معروف.

حين يطالع المرء صورة العربي في الأدب العبري الحديث لا يكاد يصدق أن السلام أو التعايش بين العرب والإسرائيليين يمكن أن يتحقق يوماً ما، فالإدراك الإسرائيلي تم تشكيله بصورة تقطع الطريق على ذلك الاحتمال، حتى أحسب أن أي كلام عن السلام لن يكون جاداً ما لم تتغير تلك الصورة القبيحة والمنفرة التي تعمدت العداء وتؤجج ناره .

لقد وقعت على كتاب أصدرته جامعة الخليل بالضفة الغربية، يتحدث عن العربي في أدب الأطفال العبري، والكتاب من تأليف الدكتور يونس عمرو -عميد البحث العلمي بالجامعة-، والأستاذ غانم مزعل- أستاذ اللغة العبرية في جامعة النجاح- فاجأتني الصورة التي وجدتها في الفصل الأول للكتاب، والتي عالجت مسألة الشخصية العربية في الأدب الإسرائيلي واعتمدت على بحث مسبق للأستاذ مزعل تحت نفس العنوان، وصف بأنه أول دراسة وافية في هذا المجال تصدر باللغة العربية.

إذا حاولنا أن نتتبع ملامح تلك الصورة كما سجلتها كتابات المؤلفين الإسرائيليين فسنجدها مثبوتة في العديد من الأعمال الأدبية، وهذه بعض النماذج التي تعد غيضاً من فيض..

أحط التهم للعربي

في قصة بعنوان «مقاصد الأثر من الحدود الشمالية»، لقاص يهودي

حديث هو عوديد بيتسر، نجده يتحدث عن مستوطنة يهودية وادعة في الشمال تتعرض لعدوان العرب الذين يعكرون صفو الحياة بهجماتهم المتواصلة عليها، يطلقون النار ويزرعون الألغام حتى صارت حياة سكانها جحيماً لا يطاق، الأمر الذي اضطرهم إلى قضاء معظم أوقاتهم تحت الأرض في الملاجئ . وفي التعليق على هذا المشهد نجد جندياً إسرائيلياً يقول: أي نوع من الرجال هؤلاء العرب، لا يقتلون إلا العزل من الأطفال والنساء والشيوخ، لماذا لا يقاتلوننا نحن الجنود؟ (لاغياً بطبيعة الحال حقيقة أن المستوطنين مقاتلون مسلحون، وليسوا مدنيين بالمفهوم الشائع!).

الكاتب ايهود بن عيزر في قصته «افرات» يحكي عن حوادث وقعت في مدينة صفد عام١٩٢١م، بين العرب واليهود، فيقول: لقد أتى العرب أعمالاً وحشية ضد اليهود، بحيث بدا العربي كائناً لا يعرف معنى الرحمة أو الشفقة، فالقتل والإجرام غريزة وهواية عنده، حتى صار لون الدم من أشهى ما يشتهيه. تجسد ذلك في القصة، حين باغت العرب اليهود واعتدوا عليهم كالحيوانات المفترسة، وراحوا يسلبون ممتلكاتهم، حتى المدارس والمعابد الدينية لم تسلم من بطشهم. في القصة أيضاً أن نساء وفتيات اليهود قد تعرضن للاغتصاب وإشباع نزوات العرب.

في هذه القصص بدا العربي مشجباً لأحط التهم وأسفل الصفات، فهو لاإنساني وساقط بشرياً، كما أنه سارق وكاذب ومنافق، متعصب ومعتد، غير مبال بأية مبادئ إيجابية مهما صغرت، وإذا وعد بشيء فإنه لا يرتبط بكلمته، ولكنه يحنث بوعده عند أي فرصة تلوح له.

في قصة بن عيزر التي أشرنا إليها تواً، التقت الشابة اليهودية «افرات»

-والقصة على اسمها- بشاب عربي اسمه حسن في خضم الأحداث الرهيبة التي وقعت في صفد، أعجب بها حسن وعرض عليها الزواج، لكنها بدلاً من ذلك قدمت له مبلغاً من المال، على أن يتولى حمايتها، فوافق، غير أنه عاد وتنكر لوعده، وحاول اغتصابها (إذا كان العربي نذلاً إلى ذلك الحد، فلماذا عرض الزواج عليها أصلاً؟!).

في مجموعة قصصية باسم «خريف أخضر» للأديب ناتان شاهم، نجده يحكي قصة أسير عربي متقدم في السن، وقع في أيدي الجنود اليهود، ويبرزه في شخصية هزيلة جبانة، حيث أفضى بكل ما لديه من أسرار، دون أن يطلب منه ذلك، كما أنه يصر على تقبيل يد الجندي اليهودي، في حين يرفض الجندي ذلك، ويفك وثاق الأسير. في السياق يصف الجندي نذالة الأسير العربي قائلاً: لقد نفذ كل ما أمرته به، أحضر الماء، كما قام بمهمات مختلفة كنت أكلفه بها، وكان يعود في كل مرة كالكلب العائد إلى كوخه!

اللافت للنظر أن الكاتب قال بعد ذلك على لسان الجندي اليهودي:«وعندما كان الأسير يسير في طريقه في السلسلة الجبلية، مَرَّ فوق لغم، وقد أحسنا معه عملاً حينما رميناه برصاصة، ثم أحرقنا جثته بعد ذلك (منتهى الشهامة: لقد دفع بالأسير العربي واستخدمه كمجس لاكتشاف الألغام، ثم قتله وأحرقه!).

قارن صورة الأسير العربي بنظيره اليهودي في قصة -: دآن مرغليت.. «مظليون في السجن السوري»، فقد روى المؤلف حكاية خمسة جنود إسرائيليين وقعوا في أسر السوريين عام ١٩٥٤م، وأظهر السوريين على درجة عالية من القسوة في معاملة أسراهم الإسرائيليين، إذ يقول على

لسان أحد الجنود السوريين «.. دعنا نذبح أبناء الكلبة»، ويقول بلسان جندي سوري ثان: «.. دعنا نقتل اليهود» ثم يعاود القول على لسان سوري ثالث «دعنا نقتله ونقول إنه حاول الهرب»!

في موضع آخر أبرز الكاتب إخلاص ورجولة الأسير الإسرائيلي الذي يؤثر الموت انتحاراً على المثول أمام المحقق السوري ليفضي بمعلومات عن جيشه، ثم مضى يقول:.. لقد ذهل السوريون وأخفوا رؤوسهم احتراماً لإخلاص الأسير اليهودي، لا سيما عندما وجدوا أنه كتب ورقة ووضعها بين أصابع قدمه قال فيها عبارة واحدة: لم أخن!

لا نعرف النظافة .. ولا الصابون

أما صفات العربي في الإدراك الإسرائيلي فنستطيع أن نتحقق منها حين نقرأ مثلاً ما كتبه «ناتان شاحم» في قصته «غبار الطرف»، حين يسجل حواراً عن العرب بين اثنين من اليهود، يقول أحدهما: العرب مثل الكلاب، إذا رأوا أنك مرتبك ولا تقوم برد فعل على تحرشاتهم يهجمون عليك، أما إذا قمت بضربهم فإنهم سيهربون كالكلاب!

الكاتب موشيه سطابسكي له كتاب عن «القرية العربية»، تحدث فيه عن بيوت العرب قائلا: إن شروط النظافة والمحافظة على الصحة تكاد تنعدم بين العرب، والإجراءات الصحية التي لا يستطيع الإنسان أن يعيش ساعة واحدة بدونها غير متوافرة في أي قرية عربية، حتى في القرى الكبرى الغنية، ولعدم وجود المراحيض يقضي العرب حاجاتهم في أي مكان، فالأولاد يقضون حاجاتهم في الساحة أو في الحظيرة، أو في البيت،

أما الكبار فيأخذ الواحد منهم إبريقاً ويخرج إلى الحقول، وهكذا لا يجد العربي الذي يريد أن يصلي خارج بيته مكاناً طاهراً يؤدي الصلاة فيه.. وعادة الاستحمام تكاد تكون غير مألوفة عند العرب، باستثناء غسل بعض أعضاء الجسم من أجل الصلاة، كما أن غسل الأيدي بعد الطعام مقصور على بعض الأفراد فقط، وهناك بعض الفلاحين الذين لم يمس الماء أجسامهم منذ زمن طويل!

الأستاذ غانم مزعل نقل عن الكاتب ذاته - موشيه سطابسكي- قوله وهو يتحدث عن قذارة العرب أن امرأة منهم أقسمت بالله إنها ولدت ستة أولاد دون أن يمس الماء جسدها! .. وقد أورد الكاتب أن لدى العرب قولاً مأثوراً مفاده أن «الطفل إذا اتسخ جسده يصح ويشتد». كما أن الصابون في زعمه ليس له ذكر عند العرب، وقد روى أنه زار إحدى القرى في منطقة السهل (اللد والرملة) بمناسبة زواج ابنة صديق عربي له، وحمل للعروس بعض الهدايا التي كان من بينها «صابونة»، لإدخال السرور على قلب الأسرة، غير أنه حين زارهم في وقت لاحق، لاحظ أن قطعة الصابون التي أحضرها قد علقت على الجدار مع أدوات الزينة والزخارف الأخرى!!

استطرد سطابسكي في وصف العرب قائلاً: إنهم يرتدون الثياب ولا يغيرونه إلى أن يبلى، حيث يغدو مليئاً بالقمل والبراغيث ويكلح لونه، ويزعم في هذا الصدد أن لدى العرب قولاً مأثوراً هو أن عيد الفلاح يوم غسيل ثوبه، وهذا الكلام ينطبق على أدوات المطبخ التي لا يتم غسلها، بل إنه يذهب إلى حد القول بأن العربي صانع القهوة لا يستبعد منه أن «يبصق» في الفناجين كي ينظفها!!

هناك دراسة أجريت عن صفات وطبائع العربي، كما وردت في ٥٢٠كتاباً إسرائيلياً بينت ما يلي:

أن هذه الكتب خصت العرب ببعض الصفات الإيجابية بنسبة ٢٣,٨٪، فـذكـرت مـرات عـديدة(٥٦) أنه صـديق - أو شـجـاع (٢١مـرة) - أو مجتهد(١٩مرة) - أو ذكي (١٩مرة)- الصفات السلبية كانت أكثر، ومثلت ٦٣,٥٪ حيث أشارت الكتب إلى أن العربي قاس وظالم(٦٦مرة) ومخادع (٥٢) - جبان (٤٤مرة) - كاذب (٣٧مرة)- متلون (٢٨مرة) - خائن (٣٧مرة) - طماع (٣١مرة)..إلخ.

- ذكر العربي مجرداً بغير صفة في ١٢,٥٪ في هذه الكتب.

هكذا نجد أن الصفات السلبية التي أبرزتها تلك الكتب للعربي تجاوزت المعقول، بالمقارنة بالصفات الإيجابية. فالصفات السلبية بلغت ٤١٥صفحة، بينما الإيجابية لم تتجاوز ١٥٦صفحة.

في دراسة أخرى أجريت على ٣٨٠كتاباً، واستهدفت تحديد الصفات السلبية التي يقوم بها العربي في تلك الكتب، تبين أن العربي ذكر بالسلب ٥٦٧مرة، وصورت جماعاتهم بأنهم أعداء قساة، ولصوص ومخربون، ورجال عصابات، وجواسيس وناهبون للممتلكات، ومخربون لشواهد القبور ، ومختطفو طائرات، وعملاء لدول كبرى... إلخ.

وحين أجريت دراسة على ٤٧٠ كتاباً، لتحديد المهن والأعمال التي يمتهنها العرب، تبين أن ترتيب هذه الأعمال كما يلي: العمل في الأرض(٨٣) رعي الأغنام، (٨١) بائع متجول، (٤٩) عامل بسيط، (٨٧) عامل في بيت يهودي، (١٩) حارس، (٢١) مهرب وجاسوس لدول أجنبية، (٤٧) عامل

بناء،(٤٩) لص، (٢٩) تاجر، (٢٧)، غير معروف(١٢٩).

وفي دراسة أجريت على ٣٨٠ كتاباً إسرائيلياً، من النوع الذي يبرز العرب بصورة سلبية معادية لليهود، تبين أنها حين تحدثت عن العرب ألحقتهم بالمهن التالية:

لصوص (٤٢كتاباً)، مخربون (٣٦)، قناصون وقتلة(٢٧)، مختطفو طائرات (٣١)، مغتصبو أملاك (٤١)، يحرقون الحقول والأشجار(١٧)، أعمال قاسية دون تحديد ١٨١.

من الدراسات الأخرى اللافتة للنظر في هذا الصدد، واحدة راجعت ملامح الشخصية العربية في كتب أدب الأطفال العبري، وبعد تحقيق ٥٢٠ كتاباً تبين أن أوصاف العربي ذكرت في تلك الكتب على النحو التالي: وصف خارجي منفر بشكل عام ذكر في الكتب ٥٧مرة-أحول العينين ٣٨مرة- وجه ذو جروح (شطب) ٤١مرة- أنف معقوف ٥٩مرة- وجه طير جارح ٤٩ مرة- وجه كدر ذو ملامح شريرة ٧٧- شارب مبروم ١٣١مرة- وجه خشن ٣٧مرة- ذو عاهة ٤٧مرة - أسنان صفراء متعفنة ٤٣ مرة - عيون تبث الرعب ٥٧مرة.

هكذا يفكر الشباب

في رأي الباحث الإسرائيلي « يشعياهو ريم» أن الصورة النمطية للشخصية العربية تتشكل في وجدان الأطفال اليهود منذ الصغر، حيث يتلقونها من الوالدين والمقربين. وهي في مجملها سلبية أو معادية، ومن الصعب تغيير هذه الصورة بعد ذلك.

حول هذه المسألة أجرى معهد فان - لير دراسة في مدينة القدس، استهدفت معرفة رأي الشبيبة الإسرائيلية (٦٠٠شاب وفتاة) في مختلف أوجه العلاقة مع العرب، ومن الأسئلة التي وجهت إلى تلك الفئة العمرية (ما بين ١٥و١٨سنة) ما يلي:

❖ كيف ترى الشبيبة الإسرائيلية حقوق اليهود والعرب في هذه البلاد؟

❖ ما الموقف من مسألة المساواة في الحقوق بين اليهود والعرب في إسرائيل؟، وكيف يفهم «إخلاص» اليهود الذين يعيشون في إسرائيل قبل عام١٩٤٨؟

❖ ما الموقف من مسألة رفض العرب الذين يعيشون في المناطق المحتلة عام ١٩٦٧م الحصول على الجنسية الإسرائيلية؟

❖ ما موقف الشبيبة الإسرائيلية من تأييد الحركات السرية اليهودية التي تسعى للحرب ضد العرب (وطردهم في النهاية)؟

❖ بينت الدراسة أن الشباب الإسرائيلي منقسم إلى فريقين متساويين تقريباً..

الفريق الأول عبر عن نفسه كما يلي: ٧٠٪ رأوا أن لليهود الحق الكامل في فلسطين،٢٢٪ رأوا أن حق اليهود شبه كامل، الأمر الذي يعني أن ٩٢٪ من الشباب اعتبروا أن حق اليهود في فلسطين أمر كامل أو شبه كامل.

على صعيد آخر فقد رأى ٧٪ أن للعرب حقاً كاملاً في فلسطين، بينما قرر ١٢٪ أن حقهم شبه كامل، ومجموع الاثنين ١٩٪ فقط.

الفريق الثاني كان في رأيه أن حقوق العرب في فلسطين قليلة، أو أنهم لا توجد لهم حقوق على الإطلاق في البلاد.

أما فيما يتعلق بالمساواة في الحقوق بين اليهود والعرب، فقد جاءت نتيجة الاستطلاع كما يلي:

-٤٤٪ من أفراد عينة الدراسة رأوا أن للعرب حق المساواة في الحقوق مع اليهود، مقابل٥٦٪ رفضوا مساواة العرب بهم.

والذين أيدوا حق العرب في المساواة مع اليهود، دعا٣٧٪ منهم إلى إلزام الشباب العربي بالخدمة في الجيش لقاء ذلك، بينما دعت نسبة مماثلة إلى المساواة بين اليهود والعرب في الخدمة الوطنية دون غيرها.

-٥٠٪ من أفراد عينة الدراسة رأوا أنه من الضروري تقليص الحقوق المالية المعطاة للعرب في إسرائيل، وحوالي ثلث عدد أفراد العينة رأوا ضرورة تقليص الديمقراطية في إسرائيل إذا كان ذلك مطلوباً من أجل تقليص حقوق العرب.

-٦٠٪ من عينة الدراسة رأوا أن جزءاً من عرب ٤٨ في إسرائيل مخلص للدولة مقابل ١٨٪ رأوا أن معظمهم ملتزم بذلك الإخلاص.

-٤٠٪ من أفراد عينة الدراسة أبدوا تأييدهم لأي حركة سرية تنتقم من العرب، و١٠٪ من هؤلاء قالوا إنهم سوف ينضمون إلى مثل هذه الحركة لو طلب منهم ذلك.

- حوالي ٣٠٪ من أفراد العينة أبدوا تأييدهم لآراء حركة «كاخ»،

المتطرفة والإرهابية الداعية إلى طرد كل العرب من فلسطين!

-٦٠٪ وافقوا على طرد كل عربي من أبناء الأراضي المحتلة عام ٦٧، إذا تمسك برفض الجنسية الإسرائيلية.

إن أمثال تلك الدراسات قام بها بحاثة يهود، ومن ثم فينبغي أن تؤخذ على محمل من الجدية، وأمانة المسؤولية، وهي لا تحتاج إلى أي تعليق لأنها ألقت أضواء كافية على خريطة الواقع الإسرائيلي، وفيها ما يكفي أيضاً لنتصور المستقبل.

ترى: هل يتلقى العرب الرسالة ويستوعبونها؟

الجذر الديني للتعليم في (الدولة العبرية)

زين العابدين الركابي*

* سعودي، كاتب إسلامي.

[من كان له ولد فليعلمه التوراة]

(نص توراتي)

قبل ثلاثين عاماً، دخل أعضاء الكنيست الصهيوني في صراع فكري مرير وطويل. وكان موضوع الصراع هو: تفسير انتصار جيش الدفاع الإسرائيلي على العرب في أوائل يونيو عام ١٩٦٧م.. فقد خاض الأعضاء -من كل تيار- في هذا الموضوع، واختلفت التفسيرات باختلاف الاتجاهات الفكرية والعقدية والسياسية التي ينتمي إليها الأعضاء.

فسَّر الشيوعيون -مثلاً- ما حدث تفسيراً مادياً بحتاً، وفق نظريتهم العامة في تفسير الأحداث والوقائع والمواقف.

وفي ذروة الخلاف، جاء وزير الشؤون الدينية بتفسيره الذي مال إليه معظم الأعضاء.

فكيف فسر الرجل (انتصار) الجيش الإسرائيلي؟

قال: «لقد اشتط بعض الأعضاء في الكلام، وأنا أريد أن ألخص الانتصار وأفسره في كلمتين اثنتين هما: إننا آمنا بعقيدة التوراة ثم خدمنا هذه العقيدة بأساليب علمية».

وبغض النظر عن صحة العقيدة التي أشار إليها ذلك اليهودي، فإن

التفسير صحيح من الناحية الموضوعية، أي من ناحية وصف الحال.
فالدولة العبرية في فلسطين المحتلة تقوم على دعامتين أساسيتين:

- دعامة العقيدة.
- ودعامة التكنولوجيا أو التقنية.

ولئن كان الأساس التقني ليس موضع خلاف، فإن الأساس العقدي ينبغي الاتفاق عليه كذلك.

لمــاذا؟

أولاً: لأن كل تفسير يستبعد الأساس العقدي، يخل بالشروط الموضوعية للتفسير، وهي الشروط التي توضحها الفقرة الآتية.

ثانياً: أن حقائق التاريخ والواقع تبرهن على أن إسرائيل إنما قامت على أساس ديني.

إن (الفكر اليهودي الصهيوني) هو المرجع في هذه القضية.

فماذا يقول هذا الفكر؟

يعرِّض (يهيل مايكل باينز) ١٨٤٢-١٩١٢-، وهو يهودي صهيوني مخضرم، يعرض بالشعوب التي تفصل تطلعاتها الوطنية عن الدين، ويؤكد العلاقة بين الوطنية والدين في حياة الشعب اليهودي، فيقول: «إن أي شعب آخر يمكن أن تكون لديه تطلعات وطنية منفصلة عن الدين. أما نحن اليهود فإننا لا نستطيع ذلك».

أما (إبراهام إسحق كوك) ١٨٦٥-١٩٣٥- وهو حاخام مرموق ومن أكابر منظري ومفكري الحركة الصهيونية فيقول: «إن القومية اليهودية الدنيوية هي نوع من خداع النفس وتضليلها، فروح إسرائيل مرتبطة كل الارتباط بروح الله، بحيث يتحتم على القومي اليهودي -مهما بلغ تعلقه بالخط الدنيوي الزمني- أن يتمسك بقدسية هذه القومية وطابعها الديني. ففي وسع الفرد الإسرائيلي أن يقطع الروابط التي تربطه بالدين، ولكن إسرائيل كمجموع لا تستطيع أن تفعل ذلك».. وهذا نص بالغ الوضوح والأهمية، إذ هو نص يسجل استحالة تطبيق العلمانية، أو فصل الدين عن الدولة على مستوى الكيان كله.

ويأتي (مارتن بوبر) -١٨٧٨-١٩٦٥-، وهو من قادة الصهيونية البارزين، يأتي ليؤكد أن الفصل بين الدين والحياة، قتل لإسرائيل نفسها.. يقول: «إن الإسرائيليين شعب فريد يختلف عن بقية الشعوب الأخرى، فهو الشعب الوحيد في العالم الذي يعتبر شعباً، ويعتبر -في الوقت نفسه- مجتمعاً دينياً. وكل من يقطع العلاقة بين هذين العنصرين، يقطع حياة إسرائيل نفسها»، وهذا مفهوم، ركز عليه (سولو مون سكتشر) ١٨٤٧-١٩١٥- فقال: «إن إعادة ولادة ضمير إسرائيل الوطني وانبعاث دينها، أمران لا ينفصلان».

ومن الوثائق الحاسمة في توضيح (الطبيعة الدينية) للدولة العبرية:

- وثيقة إعلان أمر إنشاء دولة إسرائيل. فقد جاء في هذا الإعلان: «بموجب الحق الطبيعي والتاريخي للشعب اليهودي تقوم على أرض فلسطين دولة لليهود».

- وثيقة (قانون العودة). إذ ينص هذا القانون على:

● «لكل يهودي الحق في أن يهاجر إلى إسرائيل».

● «لأغراض هذا القانون، يعتبر يهودياً كل شخص أمه يهودية، أو اعتنقت الدين اليهودي، ولا يكون له دين آخر». ومعلوم أن تعريف اليهودي بأنه هو ابن اليهودية، مشتق من نصوص توراتية بعد التحريف.. وفي هذا التعريف دلالة أخرى تتضح بالمعنى الديني.. هذه الدلالة هي: أن ليس لدى الدولة العبرية تعريف للوطنية غير هذا التعريف فالوطني أو المواطن في دولتهم هو ابن اليهودية فحسب.

والطبيعة الدينية للدولة العبرية من الوضوح بحيث فهمها غيرهم أيضاً. ففي أثناء المناقشة- في الأمم المتحدة- حول العنصرية، قال السفير الأمريكي لدى المنظمة الدولية- يومئذ- (باتريك مونيهان). «إن الصهيونية -صانعة إسرائيل وموجهتها- ليست حركة أشخاص يرتبطون معاً من خلال انتماء تاريخي لجنس معين!! ولا هي تتألف من مجموعات مختلفة تشغل أرضاً جغرافية واحدة. بل إن العكس هو الصحيح، فالصهيونيون يحددون أنفسهم بأنهم مجرد يهود، ويعتبرون كل من يولد لأم يهودية: يهودياً، وكذلك كل من يعتنق الدين اليهودي. كما أن المحاكم اليهودية اعتبرت أن اليهودي الذي يعتنق ديانة أخرى لا يبقى يهودياً».. وخلاصة هذه المقولة: أن الصهيونية حركة مختلفة الجنسيات يجمع بين أعضائها دين واحد هو الدين اليهودي، داخل إسرائيل وخارجها.

وليس الأمر كلاماً يقال، ولا تاريخاً قديماً يسترجع، ذلك أن الواقع الماثل شاهد قوي وفصيح على (الصبغة الدينية) لكيان بني إسرائيل. فقاتل إسحق رابين أقدم على فعله بدافع ديني تلقاه في المدرسة والجامعة، دافع أن إسحق رابين (يميع) الصراع مع العرب، وينتقص من (نقاء) الدولة اليهودية وخلوصها لأبناء الأمهات اليهوديات دون سواهم.. واجتياح القدس بالمستوطنات يعللونه بأساطير دينية.. واستجلاب مزيد من اليهود إلى فلسطين المحتلة مسنود بمزاعم دينية.. ونظرية (التفوق المطلق) على العرب مستمدة -في الأساس- من تاريخ عسكري ديني هو تفوق داود الذي يمثل اليهود بزعمهم، على جالوت الذي يمثل العرب بزعمهم أيضاً.

التعليم منبثق من طبيعة الدولة

وبدهي أن يكون التعليم الديني -والمشرب بالدين- في إسرائيل منبثقاً من طبيعة الكيان العبري. فالتعليم -في جوهره-: تعبير عن فلسفة الدولة وثوابتها ومقاصدها ونظرتها إلى الحياة والناس والقيم، والتعليم -من جهة أخرى- صياغة للأجيال وفق هذه الثوابت والمقاصد والفلسفة.

يقول الدكتور محمد ربيع -في كتابه أزمة الفكر الصهيوني-: «وبعد إنشاء دولة إسرائيل صدر قانون التعليم عام ١٩٥٣ الذي قسم المدارس إلى نوعين: مدارس حكومية ينتظم بها ثلثا عدد الطلبة. ومدارس حكومية دينية ينتظم بها الثلث الباقي. ويزيد التركيز في هذه الأخيرة على التعاليم الدينية.. وسبب هذا التقسيم هو أن الدوائر الدينية رفضت نظام التعليم

الموحد رغم أن نصيب الدراسات الدينية كبير في المدارس الحكومية. كما استطاعت هذه الدوائر أن تحمل وزير التعليم الإسرائيلي عام ١٩٥٧ على إدخال مادة جديدة في المناهج الدراسية، وجعلها إجبارية ببرامج الدراسة الدينية وهي مادة (الوعي اليهودي). والغرض من فرض هذه المادة هو تعميق معرفة الأجيال الناشئة بالقيم اليهودية والتوراة والتلمود، وزيادة اهتمام الشباب بشؤون الدياسبورا والطقوس اليهودية وعناصر الفكر اليهودي ومغزى الفلكلور الديني اليهودي».. ويمكن مراجعة كتاب (الدولة والدين في إسرائيل) لأسعد رزوق، بتوسع واستفاضة.

ويلاحظ هنا أن التعليم الديني في إسرائيل يتسم بخصائص ثلاث:

- خاصية الاستغراق الزمني. فهو ينظم المراحل التعليمية كافة: من رياض الأطفال إلى الجامعة.
- وخاصية التكثيف على نحو يشبه التخصص.
- وخاصية (التثقيف المشبع)، بمعنى أن كل خريج في إسرائيل -في أي مرحلة كان- لا يتخرج إلا بعد أن يتلقى زاداً دينياً مشبعاً يعبئ نفسه وشعوره بالعقائد والمفاهيم اليهودية.. وهذا سر وحدة التصور والفكر في المجتمع الإسرائيلي. فهناك وحدة فكرية تربط بين الجميع، مهما اتسعت بينهم مساحات الاجتهاد الاجتماعي والثقافي والسياسي.

وهناك ظاهرة ينبغي الاستفادة منها وهي ظاهرة: التركيز على (الأساسيات) في المرحلة الفاصلة بين السابعة والخامسة عشرة.

فلماذا التركيز على الأساسيات الدينية والفكرية والحضارية في هذه السنوات المعينة؟

السبب علمي موضوعي وهو: أن هذه السنوات هي التي يتكون فيها فكر الإنسان وتصوره عن الدين والتاريخ والعلاقات والمفاهيم والقيم، والنظرة إلى الذات، وإلى الآخر.

يُضم إلى ذلك: ظاهرة أخرى، وهي ظاهرة (تجديد الإحساس) دوماً بأهمية التعليم أو التربية.. ويتحقق هذا التجديد على صعيد أعلى جهاز يشرف على الدولة العبرية، ويقود خطاها وهو: الحركة الصهيونية العالمية.

نقرأ في قرارات المؤتمر الصهيوني الحادي والثلاثين، هذه الفقرات -في فصل التربية-.. يقول المؤتمر الصهيوني: «يقر المؤتمر بأن التربية اليهودية والصهيونية للمنظمة الصهيونية العالمية بكل أجهزتها، يجب أن تكون قائمة على أساس قيم اليهودية، والتراث والتقاليد اليهودية منذ أجيال عديدة.. ويقرر المؤتمر أن المنظمة الصهيونية العالمية ستتولى العمل في كل المجالات والقضايا التي موضوعها التربية اليهودية والصهيونية، بكل فروعها الرسمية وغير الرسمية، والتربية الموجهة إلى الأطفال، والشبيبة، والطلبة الأحداث، وتنمية قيادة وجيل الاستمرار.. ويدعو المؤتمر الصهيوني الجوالي اليهودية، في أنحاء العالم كله، إلى أن تضع على رأس أنظمة أولوياتها: توفير التربية اليهودية الشاملة والواسعة للجيل الناشئ فيها، ومنع الاندماج والابتعاد عن اليهودية. ومن أجل تعزيز الإحساس بالمصير المشترك بين المنفى وإسرائيل».

خلاصات

● إننا لا نعيب عليهم تمسكهم بدينهم، ولا نعيرهم بذلك. فالقرآن لم يعيرهم بما تمسكوا به من بعض الحق، وإنما عاب عليهم: أنهم لم يتمثلوا ما معهم من حق، ولم يستفيدوا منه: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾.

ونعيب عليهم تحريف الدين، وسوء تأويله، وتوظيفه في خدمة الباطل والظلم والاستكبار والإفساد في الأرض.

● إن التعليم الديني عندهم -وهذا جانب إيجابي يجب الاعتراف به والاستفادة منه- ليس (كوابح وموانع) بل هو حافز إلى الإبداع والتفوق.

● إنهم إذ يهتمون بالغ الاهتمام بالتعليم الديني، يهتمون بالغ الاهتمام -كذلك- بالتعليم الدنيوي، ساعدهم على ذلك: تاريخهم العلمي المعروف في حقول الفيزياء والطب والكيمياء إلخ.. وهم في ذلك ليسوا جنًّا يعملون بالخوارق. بل هم بشر من البشر آمنوا بأهمية العلم والتقنية، وصدقوا إيمانهم بالعمل، ولذا يمكن اللحاق بهم والتفوق عليهم، لأن (الكونيات) مجال مباح متاح للناس أجمعين: يهوديهم ومسلمهم، كافرهم ومؤمنهم.

● من الخطأ تفسير (قوة إسرائيل) بأنها محصورة في التقنيات والتخطيط السياسي والمهارات الإعلامية والقدرة على التحالفات. فوراء ذلك، وقبل ذلك شيء أعمق وأرسخ وهو (المعتقد الديني) المباشر في بعض مناهج التعليم، وغير المباشر في بعضها الآخر.

● التفسير العربي الذي يجرد الصراع مع اليهود، من المضمون الديني، يخدم اليهود خدمة مجانية كبرى. فهذا التجريد يفرغ الصراع في جانبه العربي، من التعبئة الدينية المكافئة، في حين يظل الطرف الإسرائيلي مُذرّعا بمثل هذه التعبئة. وهذا هو أحد عوامل عدم التكافؤ في الصراع.

اتجاهات الفكر التربوي المعاصر
في الكيان الإسرائيلي

د. رشدي فكار*

* مغربي، أستاذ بجامعة محمد الخامس.

تدور هذه الورقة حول محاور ثلاثة:

المحور الأول، وفيه نطرح اتجاهات الفكر التربوي في الكيان الصهيوني من خلال مدى توظيفه واستثماره للفلسفة الصهيونية وتنظيرها حينما واجهت الواقع في الأرض المغتصبة لكي يؤهلنا لطرح المحور الثاني، وهو التحديات التي واجهت هذه الاتجاهات ومحاولة التغلب عليها واحتوائها، لنصل في المحور الثالث والأخير إلى إمكانات هذه الاتجاهات وحدودها، توطئة لاستخلاص أرضية لواقع المواجهة معها باعتبارها القضية الجوهرية لتحديد مآلية الصراع مع هذا الجسد الدخيل، التوليفي، المصطنع.

نظرة في اتجاهات الفكر التربوي المعاصر للكيان الصهيوني من خلال أبعاده الأساسية

«إن الهدف من التعليم الرسمي هو إرساء الأسس التربوية على أسس الثقافة اليهودية ومنجزات العلم، وعلى محبة الوطن والولاء للدولة وللشعب اليهودي، وعلى ممارسة الأعمال الزراعية والحرفية، وعلى التهيؤ لوجود رائد، والعمل على تشييد مجتمع تسوده مبادئ الحرية والمساواة(١)..».

إن كان هذا هو الهدف من التعليم الرسمي الذي يحدد الإطار العام لنظام التعليم وخصوصاً الابتدائي في إسرائيل، فإننا نلاحظ أنه ركز على

الثقافة اليهودية ومنجزات العلم -الارتباط بالأرض- -محبة الوطن- ازدواجية الولاء الدولة والشعب اليهودي- ممارسة الأعمال الزراعية والحرفية أساساً إلى جانب تنمية الروح العسكرية وإعطاء الصدارة للغة العبرية كوسيلة للتوحيد كما نلاحظ شمولية القانون، وهو يعكس فلسفة الحركة الصهيونية التي ارتكزت أساساً على دعامتين:

الدين والاصطفاء اليهودي روحياً، والحضارة الغربية في قمة تطلعها العقلاني والعلمي، وإعطاء أولوية للعمل المنتج. فالصهيونية إن كانت تتجسد عبر فئة الغربيين من اليهود الممثلين للعقلنة والعلمنة، فهي أيضاً تسعى إلى احتواء اليهودي الشرقي الذي يرتكز في قناعاته على الدين. فالمجموعة الغربية: العقل والريادة، والفئات الشرقية: الجسد والعطاء والعضل على مستوى استغلال الأرض والمواجهات العسكرية والأعمال اليدوية، وحتى نعطي صورة شاملة نضيف إلى هذا التسلسل الطبقي فئتين حكم عليهما بالمعاناة من هذا المغتصب المتهور. ونعني بذلك فئة الأبناء الشرعيين للأرض ممن التصقوا بها منذ الاغتصاب وأضيف إليهم أبناء الأراضي المحتلة بعد ١٩٦٧.

الكيان الصهيوني في اتجاهاته التربوية وضع في حسابه، ومن البداية، أن يستغل التناقضات الموضوعية لتلعب لصالح بقائه، فإن كان النازح من الغرب هُيِّيء له من البداية موقع القيادة، فالنازح من البلاد العربية خصوصاً هُيِّيء للانسياق والتبعية وأعطيت كنماذج له -حتى لا يفتقد توازنه النفسي- أبناء فلسطين المهمشين حتى يكون في ذلك تفريغ نفسي

لمعاناته، ويتقبل ليس فقط انطلاقاً من التغميض الديني هذا الموقف الذي فرض عليه، وإنما يتعامل مع واقعه الجديد واجداً السلوان في معاناته ممن جاءوا بعده في التدرج الطبقي، ونعني بذلك الأبناء الشرعيين للأرض أي الفلسطينيين.

استغلت المشاعر الدينية وعقدة القهر والانطواء لدى اليهودي التائه، ليتقبل هذا الواقع ويقبل سيادة اليهودي الغربي وقيادته له بل وحماسه، لكي يضحي في سبيل مخططاته التوسعية، ونعني بيهود الشرق، المشارقة ومن عاشوا في البلاد العربية وما حولها وليس الشرق الكتلة الشرقية، لأن حضارة الغرب بشقيها الليبرالي والماركسي تدعم تفوق النازح من الغرب وتسلطه.

اتجاهات الفكر التربوي المعاصرة في الكيان الصهيوني حاولت أن ترشد وتعمق هذه المعطيات لما فيه مصلحة الاندماج والتوحيد. اندماج المتنوع وتوحيد المتعدد وانصهاره. فضاربت على كل الموائد باعتبار أن الكيان الصهيوني يستغل كل ما له من فاعلية وديناميكية بغض النظر عن مدى تمشيه مع المعطيات الموضوعية لاستمرار وحدة بشرية ما.

الاتجاهات الفكرية التربوية شجعت بطريقة ضمنية التطرف الديني بتدعيم مؤسساته وإعطائه الصلاحية والاعتراف السياسي بل والسعي وراء تعاطفه وأصواته، وفي الوقت نفسه كان تشجيع الطرف الآخر في تعميق العقلنة والمعرفة التكنولوجية والاحتكام للأسس العلمية، وهكذا نلاحظ أن اتجاهات الفكر التربوي الصهيوني لم تحاول البحث عن التقاء موضوعي

لعناصرها المختلفة، لأن الالتقاء الموضوعي ستكتشف منه عوراتها، وإنما حرص على أن يحقق انصهاراً انفعالياً مستغلاً للعواطف الدينية المقهورة في داخل وجدان اليهودي المنطوي، وذلك ليحتفظ به دائماً في إطار معبأ تلقائياً ويلقي به في أي مواجهة وهو مخدر بالأساطير والنعرات الاصطفائية، بينما يعطي للتيار الآخر العقلاني كل الإمكانات التي تؤهله من اختزال أزمنة التقدم والتطلع التكنولوجي وذلك في ساحة القهر والحرب وسفك الدماء.

فإن كان يهود المشرق أو يهود الشعوب العربية احتفظ بهم ليكونوا وقوداً لأطماع الكيان الصهيوني، فقد استغلت العقلنة الغربية ممثلة في الفئات النازحة من الغرب لتحقق أكبر قدر ممكن من الحرائق في المنطقة بفضل قدراتها العلمية والتكنولوجية عبر ما أطلقوا عليه الحروب الخاطفة.

لقد ارتكزت اتجاهات الفكر التربوي في تبريراتها على تعميق فلسفة الاضطهاد والقومية اليهودية ومقوماتها وربطها بالتعصب الديني والعدوانية، كما حاولت أن تنتفع من الغرب البروتستانتي بما يمكن أن يستغل إيجابياً كمفهوم دين العمل وقداسة العمل، فكما هو معروف الادخار والعمل من الأسس التي ارتكز عليها الإصلاح الكلفاني البروتستانتي، أما التدبير والاكتناز فشيء تعايش معه اليهودي واستأنسه، وبقي التطلع والتركيز على العمل.

ويمكننا في نهاية هذا المبحث الخاص باتجاهات الفكر التربوي المعاصر للكيان الصهيوني من خلال أبعاده الأساسية أن نجملها فيما يلي:

- التطلع إلى الاندماج باسم الانصهار في المجال التعليمي، وذلك من خلال مؤسسات تسهم علمياً وتطبيقياً في ممارسة هذا الاندماج «تجربة الكيبوتس».

- استغلال اللغة العبرية والتركيز عليها وإعطاؤها الأولوية لتوحيد هذه الفئات المتشتتة والاتجاه بها نحو الإنسان المتجانس.

- استغلال التطرف الديني بدلاً من احتوائه وترشيده في محاولة للإبقاء دائماً على هذه التعبئة الانفعالية لليهودي التائه وإقناعه أخيراً بالاستقرار والعودة إلى الذات.

- تعميق تهميش ابن الأرض الشرعي حتى يكون فيه عظة ومثال يخفف من معاناة اليهودي الشرقي الذي نفخ فيه بالأماني وافتعل له المستقبل المشرق، لكي يترك موطنه الأصلي ويهاجر إلى الأراضي المغتصبة، ومحاولة إضعاف قناعات ابن الأرض الشرعية بواقع اليهودي عبر التاريخ، ولإلغاء هذه الصورة لديه بصورة الصهيوني يسود ويقهر وينتصر في كل المواقع وفي كل الساحات. محاولة ليس لتزييف الواقع فقط، وإنما تتجاوزها إلى تزييف التاريخ. كذلك لم تغفل الاتجاهات التربوية الصهيونية جانب الارتباط بالأرض، فأعطت أولوية للزراعة وما له علاقة بها، وهذا ما تؤكده المؤسسات المختلفة في هذا الميدان الممارسة التطبيقية.

- وأخيراً تسعى اتجاهات الفكر التربوي المعاصرة للحركة الصهيونية إلى توظيف النخبة الغربية من اليهود المهاجرين إلى الأرض المغتصبة، وتسخير

عقولهم لمزيد من الانتقاء والارتقاء لا في ميادين العمران والإنسانية، وإنما في ميادين التدمير والقهر، وذلك ما تشهد به المؤسسات المتطورة في بحوث الفيزياء النووية والتسليح.

فاتجاهات الفكر التربوي المعاصر للحركة الصهيونية لا ترتكز في مضامينها الأساسية على تأصيل واستمرارية بقدر ما ترتكز على مبدأ المضاربة والاستغلال لكل ما يشجع على بقاء هذا الجسد الغريب، من خلال تركيبة توليفية لا ينقصها المكر ولا يعوزها الدهاء والانتهازية.

ولكن هل استطاعت هذه الاتجاهات الفكرية الماكرة والمقننة ببرمجة مرحلية دقيقة أن تتجاوز التحديات التي واجهتها إلى الممارسة والتطبيق؟ هذا ما سنحاول أن نجيب عنه في القسم الثاني من هذا البحث.

التحديات المواجهة للاتجاهات التربوية ومدى التغلب عليها نسبياً

من البداية لابد أن نضع في حسابنا قصور المعلومات الدقيقة والإحصائيات الصريحة غير الموجهة حين طرحنا للمواجهة على مستوى الواقع والتطبيق، فمن المعروف أن إسرائيل تخفي ككيان صهيوني أكثر مما تظهر، وتوجه ما لديها من معلومات لتعطي للآخر الصورة التي تريد هي أن يأخذها عنها، لا الصورة الموضوعية وكما هي، ومن ثَمَّ علينا أن نتعامل مع ما لدينا من معلومات وإحصائيات وتصوير للممارسة التربوية دون أن نغفل أن الكيان الصهيوني لم يعرف بكل ما لديه نتيجة للشرطية المفتعلة التي

يفرضها على الآخر، ويتقوقع في داخلها وينتفخ. ومع هذا فمن المعروف أن الميدان التربوي في الكيان الصهيوني عرف التعدد في الجامعات وتكوين الأطر، كما عرف التخصص والتنويع، وكأمثلة على ذلك: الجامعة العبرية، جامعة تل أبيب، جامعة حيفا، وجامعة بار إيلان... إلخ، إلى جانب المعاهد النوعية المتخصصة. وقد ركز في تطبيقه لاتجاهاته التطبيقية على محاور محددة منها؛ محور يتطلّع إلى الغد، ومحور يؤصل الماضي ويجذّره. فمحور التطلع إلى الغد يعطي أولوية للرياضيات والفيزياء النظرية والتجريبية والبيولوجية وبقية العلوم الطبيعية بصفة عامة، مركزاً على التخصصات الحيوية إما في استغلال الأرض وإما الدفاع عن الكيان، مع إعطاء أهمية في المحور الثاني للاهوت اليهودي والتلمود وتاريخ اليهودية، وتصدر أيضاً الدراسات الاجتماعية باعتبار أن الجسد الصهيوني من الصعب قبول تناسقه وانسجامه الاجتماعي، فهو دائماً في حاجة إلى ملاحظ ومراقب.

كذلك يلاحظ إلى جانب المحورين، محور التطلع إلى الأمام وحماية الأرضية والجذور. هناك اللغة وأولويتها في خلق أرضية للتجانس ثم الانسجام والانصهار بفضل الالتقاء في أرضية المحور الثاني وهو تجذير الماضي، كذلك لم يغفل الكيان الصهيوني في مواجهته للتحديات أن يركز على مبدأ نشط، كثيراً ما يغفل، وهو خير احتواء لظاهرة هو إعطاؤها القدر الكافي من الإشباع والوصل بها تلقائياً بعد الإشباع إلى التعادل والتجانس، فبدلاً من أن يكبح جماح التطرف والمغالاة في الالتزام بأسطورة الماضي، عمّقها وأسهم في إشباعها «على عكس ما نفعل نحن»، كما أعطى

للتطلع كل إمكانات اختزال الأزمنة واجتياز الحواجز بالنسبة لعلوم المستقبل، وعرف كيف يستغل الحزام الخارجي للكيان الصهيوني للتحصين والوقاية دون أن يطرح مقولة «من ليس معي فهو بالضرورة علي». وهكذا تداخل مع أقدر الأوساط العلمية في حضارة الغرب وتركها ضمنياً تتداخل معه. وهو يعلم أنه لن يقدم لها شيئاً يعادل ما تقدمه له، واستطاع في إطار تجاوز التحديات، أن يستغل جانب الانغلاق الذي تنشأ فيه الغيتو(Ghetto)، فكان بخيلاً بحقائقه وفضولياً إلى أبعد الحدود للتعرف على حقائق الآخرين على عكس تصورنا نحن.

هذا إضافة إلى أن الاتجاهات التربوية في تطبيقها وممارستها حاولت أيضاً أن تتجاوز التحدي الذي فرضه التاريخ ببرمجة دقيقة تتكيف مع العصر كي تجعل من هذا الصهيوني المقهور في تاريخه صهيونياً قاهراً، فركز على إبراز نظرية الاصطفاء وعظمة اليهودية كرمز لشعب مختار، حتى يذيب شخصية اليهودي التائه، ويجعل منه يهودي الاغتصاب المتسمر في أجساد الآخرين والمغتصب لأرضهم. وحتى يغطي هذه الخصائص التي تبرز وتنشر رائحة العنصرية المقيتة تزيًّا بشعارات متعددة وألبس جسده عباءات الآخرين، فكان وجود الصهيونية في الحركات التقدمية والاشتراكيات الدولية والتغني بالحرية والديمقراطية واستغلال وسائل الاتصال التي يتحلى بها حزامه الخارجي على مستوى الغرب، لنشر ما يصنعه وافتعله على أنه هو الواقع الملموس، لا ليقنع الآخرين فقط وإنما ليقنع ما تبقى من أشلاء اليهودي التائه، ليثبته في موقع حمله إليه، وهنا

نتساءل: هل يمكن لهذه المحاور وما حولها أن تقدم لنا حيثيات موضوعية تبرر نجاح هذه الاتجاهات فيما واجهت من تحديات وتجاوزها لها؟ موضوعياً لإجابة هذا التساؤل لابد من الإحصاء الدقيق والمعلومات الرصينة التي تعطينا مؤشرات نزيهة عما استطاعت الاتجاهات التربوية أن تنجزه في أرضية التجانس والانسجام والانصهار بين هذا الشتات المتنوع، وإلى أي حدّ استطاعت اللغة العبرية أن تلعب دوراً في تحقيق هذا الإنجاز، وهل استطاعت المؤسسات التعليمية الابتدائية والثانوية والجامعية أن تسهم في الوصول إلى الأهداف التي تسعى الاتجاهات التربوية إلى تحقيقها؟

الاتجاهات التربوية في الكيان الصهيوني حاولت أن تتجاوز ما أشرنا إليه من تحديات واستطاعت، وعبر الفترة التاريخية الماضية من اغتصابها للأرض، أن تخفف نسبياً على الأقل، من حدة وشراسة هذه التحديات التي تتجسد في اليهودي التائه المنهزم المغترب المتشتت الجاهل للآخر من بني جلدته، غير القادر على الحديث معه المنغلق في حيّه، إلى ما نلاحظه من هذا الصهيوني الذي فرض اللغة العبرية دون أن يضيع نصف قرن في لقاءات ومؤتمرات، ليتساءل عن مدى صلاحيتها لتكون لغة علم أو عدم صلاحيتها، وينشىء الخطب ويصيغ الإشكاليات ويفتعل المشاكل، وإنما فرضها وألزم بها، فهي أولاً وقبل كل شيء انتماء وليست مجرد وسيلة فقط.

هذا الصهيوني حاول أن يفتعل عظمة ليست له، باحثاً عنها في أتربة أساطير التاريخ، وليس في حقائق التاريخ، في الوقت الذي يملي على ابن

الأرض ومؤسس العظمة التاريخية الذلة والمسكنة، ويعمّق من تجهيله ليس بتاريخه فقط وإنما بقدرات ذاته، بل ويفرض على ابن الأرض أن يستمع إلى تغنّيه بعظمة اليهودية وأن يتقبلها صاغراً «تعليم الفلسطينيين في الكيان الصهيوني». وهذا الصهيوني أيضاً لم يجد أي غضاضة في أن يوفق بين احتفاظه برموزه الأسطورية بعد أن يصنع منها حقائق تاريخية، وينطلق في ميادين التقدم التكنولوجي والعلمي والصناعي، ويصدِّر الخبرة والإنتاج المتطور للغير في الوقت الذي يطلب من الآخر أن يحول حقائقه التاريخية إلى أساطير ويحرمه من أيّ تطلع.

ولا شك أن الجانب التربوي هذا لا يمكن أن يخفي ما في داخله من تناقضات قد تخفف هذه التعبئة من إبرازها ولكن لا تذيبها بحال، ولهذا كان على الاتجاهات التربوية المعاصرة للكيان الصهيوني أن تضارب على نموذج تدعيمي يمكن أن يزكي ما نسعى إليه من تجاوز للتحديات، ودون أن يحسب هذا النموذج لصالح اتجاه أو اختيار أيديولوجي بعينه ليلاحظ أن كل الاتجاهات والأيديولوجيات اتفقت على أن تسهم في هذا النموذج الضماني أو التأميني ونعني به نموذج الكيبوتس كتطبيق للاتجاهات التربوية في الكيان الصهيوني.

تجربة «الكيبوتس»

النسق التربوي للكيبوتس، باختصار وكما هو معروف، يعني نظاماً تعليمياً تعاونياً، وبهذا يُسمّى أيضاً، وهو غير منفصل عن نظام التعليم

الإسرائيلي العام، غير أنه يمثل صورة متميزة عن إطاره.

إن الكيبوتسات في فلسطين المحتلة تأسست، كما هو معروف أيضاً، على يد مجموعة من الصهاينة عرفوا بالروّاد، وكانوا متعاطفين مع الماركسية، كما أنهم اتخذوا كشعار أن العمل البدني والعودة إلى الأرض هما قاعدة بناء الوطن. والنظام التعليمي في هذه المؤسسات الكيبوتسية يرتكز على الأسس العلمية أكثر مما يترجم التعليم التقليدي في طابعه السكوني، كما أنه إلزامي في كل مراحله الابتدائية والثانوية، ويلاحظ أن الوليد منذ دخوله إلى الحياة لا يعرف «انتماء» إلا للكيبوتس. فبعد أسابيع معدودة على ولادته تتخلى الأم عن دورها الأمومي لتصبح الكيبوتس هي الأم، والأسرة لا تأخذ المفهوم المألوف وإنما ينتمي إلى أسرة الكيبوتس، وهكذا تتفرغ الأم لعملها كعضوة في الكيبوتس تتمتع بالحقوق نفسها التي يتمتع بها الرجل وعليها الواجبات التي عليه، مما يؤهل المرأة والرجل إلى نوع من التجانس تحت شعار المساواة توطئة للانصهار بالنسبة لجيل الأطفال. ومن ثَمَّ نرى أن عواطف الأمومة والأبوة، وحتى عواطف الطفل، فُرِّغت في جملتها في بوتقة عاطفة موحّدة هي الكيبوتس. ومما يسهم في هذا التوحيد والتجانس وحدة اللغة ووحدة نمط الحياة اليومي ووحدة التعامل القائم على نسق متعادل لا يخلق نفوراً أو شذوذاً بالنسبة للجماعة. ولم تقف حواجز التجانس عند هذا الحد، كما لم تقف عوامل تدعيم الانسجام عند موقع وحدة الانتماء، بل تجاوزتها إلى وحدة استعمال الزمن وأوقات الفراغ والتسلية والعمل والأكل والنوم، وإلى محاولة تجاوز الكبت والقهر لدى العناصر غير القادرة

على المبادرة والتطلع، وذلك بإعطائها أكبر قدر ممكن من العناية والرعاية دون اللجوء إلى الرسوب أو السقوط. وغرض مؤسسة الكيبوتس من ذلك أن يمر الطفل في مراحل نموه النفسي من الحضانة إلى الروضة في إطار متناسق في مجاليه الزماني والمكاني لصالح المؤسسة ولحسابها.

ولا تتجاوز علاقات الطفل الأسرية إطار الزيارات المحددة بنهاية اليوم، بينما تتولى الكيبوتس توجيهه والإشراف عليه طيلة اليوم بأكمله، كما أن الدراسة تنقسم إلى قسمين: نظري وتطبيقي، فتخصص فترات الصباح عادة للجانب النظري. ويلاحظ بالنسبة للمرحلة الثانوية -وهي تستمر ست سنوات، وتبدأ من سن الثانية عشرة- أنها تتجسد في شكل مجموعات محددة ومحدودة يتولاها موجِّه يشرف على تحقيق تطلعاتها وحل مشاكلها، وتعطي أهمية للدراسات الإنسانية والاجتماعية إلى جانب العلوم الطبيعية والبيولوجية وتتصدر اللغة العبرية إلى جانب الإنكليزية والعربية.

هذا وتأخذ الكيبوتسات الدينية على عاتقها مهمة السهر على حفظ التراث التوراتي والتلمودي وتجذيره في المشاعر باعتباره حلقة أساسية من حلقات الوجود المفتعل لهذا الكيان الغريب في أرضنا، ولا تقف نشاطات الكيبوتس وبناؤه لمواجهة الغد عند حد التعليم الابتدائي والثانوي، بل يسهم في إرسال أعضائه إلى دور التعليم العالي ليتخصصوا في أعلى الدرجات العلمية في الجامعات والمعاهد التقنية. وجدير بالإشارة أن أعضاء الكيبوتس ينخرطون بالزراعة والجيش وهما رواسي المواجهة، الأرض والدفاع عنها.

وهكذا، ومن خلال هذه الخطوط الرئيسة وباختصار لتجربة الكيبوتس

كرأس الرمح بالنسبة للكيان الصهيوني والاتجاهات التربوية يمكننا أن نصل إلى تصوير التحديات التي واجهها الكيان الصهيوني، وكيف أن التعليم الكيبوتسي بمفهومه العام وظف لتجاوز التحديات، فإلى أي حد حقق هذا التوظيف ما اتخذه كهدف؟، أو بعبارة أدق: هل استطاعت التجربة التربوية في إسرائيل، مرتكزة على ما أشرنا إليه من قبل -أن تصل إلى الغاية المرجوة، والتي تفرضها طبيعة المواجهة معنا؟ ونعني بذلك: بناء صهيوني متجانس ومؤهل للاندماج والانصهار والثبات فوق الأرض التي اعتصبها والدفاع عنها، مستغلاً في ذلك- من ناحية- مشاعر التعبئة الدينية بالنسبة لفئات اليهود النازحين من المجتمعات العربية والنامية لتسهيل واختزال فترة الاندماج والانصهار، ومستغلاً -من ناحية أخرى- العقلنة والقدرات العلمية الانتقالية لتوظف من خلال فئة اليهود النازحين من دول الغرب وشرق أوروبا لا عن طريق تخلي كل فئة عن جانب من قناعاتها، وإنما تعميق القناعات لدى الفئتين، وتعميق المشاعر الدينية والتعبئة الكاملة لتحوّل الأساطير التي غطاها تراب التاريخ إلى حقائق مجسّدة يعترف بها العقل المتطوّر، والتكنولوجيا في أبهى مراحلها، ولا يرى في ذلك تناقضاً أو خروجاً عن نسق التفكير المتعارف عليه. وهنا نصل ببحثنا المركّز إلى القسم الثالث الذي سيكون في الواقع بمنزلة تقنين لتجربة الاتجاهات التربوية المعاصرة في الكيان الصهيوني في ضوء ما مارسته وطبقته، وهل يمكن لهذا التقنين أن يسهم في التعرف على ما يدور في خلد الكيان الصهيوني وخلفياته، ما له وما عليه في ضوء الحدود والإمكانات.

ثالثاً: اتجاهات الفكر التربوي المعاصر في الكيان الصهيوني في ضوء ما أنجزت، ما لها وما عليها

دون أن نطيل في استنتاجنا واستخلاصنا يمكننا وفي ضوء ما قدمناه كمعالم رئيسة لهذه الاتجاهات أن نشير أولاً إلى ما يمكن أن يحسب لهذه الاتجاهات لننتقل إلى ما يحسب عليها.

- يحسب لها أنها حاولت أن تجعل من هذا اليهودي التائه المنغلق الذي عانى من عقد متعددة في طليعتها التشتت والقهر والاستكانة والذلة بل والغضب كما قدم في تراث الإنسانية، يهودياً متطلعاً ومغتصباً ومستغلاً لأخطاء الآخر ليحول شتاته إلى تجانس وانسجام ويجعل من أساطيره وخرافاته حقائق تاريخية ملزمة يعترف بها، في الوقت الذي نحول نحن حقائقنا التاريخية إلى أساطير.

- يحسب لها أيضاً أنها طرحت التناقضات في إطار نشط مزكية لها لتلعب لصالحها فتعايشت الأساطير لتعبىء الوجدان الديني، وتتعمق وتأخذ طابع الالتزام مع العقلنة والتقدم العلمي والمعرفة التكنولوجية دون أن تتحول إلى إشكالية تفرخ المشاكل وتملأ ساحة الفكر بالشعارات بين القديم والحديث، وبالتالي تضيع حقيقة المشكلة بعد التلهي بمشاكل حلول المشاكل، وهكذا عمق الكيان الصهيوني تربوياً الشعور الديني وتركه يتجذر، مستغلاً لما له من فاعلية تلقائية وقدرة نشطة بالنسبة للجماهير، كما عمق معطيات التقدم العلمي والمعرفة التكنولوجية وسمح لهما أن يتعايشا في كل اتجاهاته

التربوية دون إلغاء أو مصادرة.

- يحسب لها أيضاً إعطاء الأولوية لمن يستحقها على مستوى البشر والإمكانات، فكانت الأولوية للطفل وبنائه للغد «الكيبوتس» كما كانت الأولوية للأرض وحرثها وزراعتها والارتباط بها والدفاع عنها، بل أعطت لذلك الصدارة «التجنيد قبل التعليم العالي لا بعده» واستغلت المؤسسات المتخصصة والمتنوعة بل والمعرفة التكنولوجية لاستغلال هذه الأولويات ليبقى هذا الجسد المفتعل فوق أرض ليست له.

- يحسب لهذه الاتجاهات فرض اللغة كوسيلة للتجانس والانصهار فرضاً دون أن تتحول بدورها إلى إشكالية كبرى تتوالد منها مشاكل تملأ ساحة الفكر، وهل اللغة العبرية صالحة أو غير صالحة، وصالحة للعصر أو غير صالحة ويتم الانزلاق إلى التغني بالوسيلة على حساب الهدف.

ولكن ما يحسب لهذه الاتجاهات في ضوء إمكاناتها وحدودها لا يمكن أن يحجب الرؤيا عما يحسب عليها كمعوقات، إذ من الخطأ الاعتقاد أن التجربة التربوية في الكيان الإسرائيلي حققت ما ترجوه من نجاح، لذا يمكننا أن نستخلص عوائق التجربة فيما يلي بهدف استغلال ذلك في طبيعة المواجهة مع هذا الكيان المفتعل:

❖ لا يمكن بحال أن تؤخذ هذه الأمور التي أحصيناها فيما يحسب لها على أنها نهائية، بل في الواقع ما ساعد على إبرازها أخطاء المواجه وإسهامه في إعطائها الجو المناسب لتتنفس. وهنا نتساءل وبموضوعية: ألا

يمكن أن ندخل جانب الإدانة العربية في السماح لهذه التجارب أن تنمو وتستمر مستغلة لما تم في الفترة الماضية من مواجهة معنا تمت دون تخطيط ووعي، بل كثيراً ما كان يغلب عليها طابع الارتجال وعدم الإحاطة بطبيعة التناقضات الموضوعية التي أملت واقعاً لا علاقة له بالواقع، هذا اليهودي يهودي الشتات والاستكانة اتخذ من مواجهته مع العرب في غيبة العرب برهاناً وحيثيات، ليؤكد مصداقية خرافاته وأساطيره ويعيد الثقة إلى هذا «الحيران» إذا ما استعملنا لغة ابن ميمون الأندلسي، ومن ثم فالتجربة التربوية مشروطة في نجاحها عبر الكيان الصهيوني بمدى استغلال أخطائنا.

❖ إن الدارس بعمق لهذه التجربة يلاحظ أنها رغم ما تزعم من تجذير وتأصيل هي مقرونة بإطار الافتعال للكيان برمته، فالسعي إلى خلق التجانس والانصهار والجهد الذي يبذل لجمع الشتات في بوتقة وجدان موحد يرتكز في أساسة على الأسطورة، ويعتمد في تطبيقه على التقدم العلمي والمعرفة التكنولوجية، ويحصن نفسه بافتعال الانتصارات الفجائية والهروب إلى الأمام، لا يمكن بحال أن يعتبر إنجازاً نهائياً وإذابة لقرون من الشتات والتنوع في الانتماء والتكيف، ومن ثم حينما يتأزم الكيان بفضل وعينا بحقيقته سوف تنكشف العورات وتبرز الخصائص الموضوعية، وسوف يكتشف الصهيوني أنه جرّ إلى أرض غير أرضه ويعيش معه أهل غير أهله وتمارس عليه كجماهير اعتقدت في أسطورة العودة وسائل الاستغلال والسخرة، ونعني بذلك الشرائح العريضة من يهود المشرق والمغرب ومجتمعاتنا النامية.

❖ محاولة الاتجاه اليهودي التقليل من ثقل ابن الأرض واستيلابه وتضليله وتعريته، ليس فقط من حاضره وإنما كذلك من ماضيه، هي أطروحة مغلوطة ومغشوشة واستمرار ممارستها مرتبط باستمرار أخطائنا، فعرب فلسطين ممن بقوا بعد الاغتصاب، وعرب فلسطين ممن أصروا على الارتباط بالأرض بعد النكسة في الستينيات هم في الواقع يجسدون جسراً صلباً ما علينا إلا أن نخفف من هزه واهتزازه من الخارج، لهذا لا نرى أن الإنجاز في جملته نهائي، بل التحديات مغفول عنها بالمسكنات والمعطلات وكل يضارب على الغد فماذا أعددنا للغد؟

وكخلاصة لهذا المبحث وانطلاقاً من المحاور الثلاثة يمكننا أن نسهم من منطلق الشعور بالمسؤولية وحتمية المصير وبدورنا بما يلي:

- أما آن الأوان للاتجاهات التربوية في الوطن العربي أن تعد للغد مصنفة للأولويات وما هو مصيري بالنسبة للأمة دون أن نتمسح في المثالية والطوباوية، بمعنى أمتنا وفي واقعها كما هو، لا كما يجب أن يكون. ماذا أعدت للغد، لتبقى المؤسسات الجامعية ويبقى التعليم في مخاضاته ويبقى؟ ولكن لم لا نحرص على تقديم نموذج إلى جانب ما يجري الآن لا نقول مستلهماً من الكيبوتس ولكن مستلهماً من الإسلام ومبادئه في الوحدة والتضامن كالبنيان يشد بعضه بعضاً أي ليكن، ولو من بلد عربي أن يتبنى تأسيس تعليم يرتبط بتجانس العربي واندماجه من البداية إلى النهاية بدلاً من تمزقه وتفتته. فالخصم يجمع ما فتت ليدمج ونحن نمزق ما جمع لنفتت، لهذا ندعو وبمشاعر صادقة أن يسعى بلد عربي في مشرق أمتنا أو

في مغربها ليؤسس نموذجاً تربوياً كتجربة يرمز إلى الطفل العربي الموحد من الروضة حتى الجامعة، والإسلام كفيل بإعطاء عناصر هذا الاندماج من حيث المبادىء والمشاعر والطموحات، واللغة العربية تجسد وسيلة الاندماج، والأرض تشكل المحور والغاية من هذا الاندماج. هذه المؤسسة للطفل العربي الموحد ولا نقول للبلدان العربية المتحدة ليكن بنسبة ٢٥ بالمئة من هذه المؤسسة فلسطين، و٢٥ بالمئة من بلدان المواجهة، و٥٠ بالمئة من البلدان العربية الأخرى واختيارياً.

بالنسبة للاتجاه التربوي العربي ما أحوجنا أن تعطى أولوية مطلقة:

أولاً: التربية في خدمة الأرض وسد الحاجات الضرورية وما أكثرها بالنسبة للجماهير، بمعنى إعطاء أولوية لتطبيق التكنولوجيا في القطاعات الزراعية واستغلالها وتوسيعها لخلق كفاية ذاتية تجعل الإنسان العربي يتجاوز الضرورات، ومن ثم يفكر ويسعى لتحقيق ما تبقى من الطموحات.

ثانياً: يركز علمياً على استئناس كل الوسائل الممكنة مختزلاً الزمن للوصول إلى مستوى الردع لحماية الأرض ومن باب أولى استعادة ما أخذ منها، وحينما نقول الردع نعني وبطريقة مباشرة الدخول في «نادي الذرة» وبأي طريقة كانت: العقل العربي مؤهل، والمال العربي بخير وما ينقصنا إلا شيء واحد هو (الصمت العربي)!

وفي النهاية إن كان المواجه والمصارع استطاع أن يوفق بين الأساطير

والخرافات وبين التقدم العلمي والمعرفة التكنولوجية ليكون طوع تصرف مصيره وتدعيمه وحمايته، فلماذا لا نستطيع أن نوفق لا بين أساطيرنا وخرافاتنا ولكن بين حقائقنا التاريخية وتراثنا الخالد وبين التقدم العلمي والمعرفة التكنولوجية لنعمق الشعور بالانتماء إلى الأمة ونزكيه ونجذره بقدر ما نؤصل التطلع إلى الغد وإلى المستقبل الأفضل.

من بحث قُدِّم إلى مؤتمر «الأبعاد التربوية للصراع العربي الإسرائيلي» جامعة الكويت/ ١٤٠٥هـ

(١) قانون التعليم الرسمي، (١٩٥٣)، نقلاً عن Stanner,
The Legal Basis of Education in Israel, p. 171,
وعن: بشيور ويوسف، التعليم في إسرائيل، ص٥٨.

الصهيونية في الكتب المدرسية الإسرائيلية

هارون هاشم رشيد*

* فلسطيني، شاعر وكاتب.

اهتمت الحركة الصهيونية بميدان التربية والتعليم، واعتبرته من أولويات تحركها نحو إقامة الكيان الصهيوني، فمنذ عهد الانتداب البريطاني على فلسطين، وقبل قيام (إسرائيل) حرصت الصهيونية على القبض بيدها على زمام المبادرة في مجال التعليم، وفرضت على السلطات البريطانية إرادتها، بأن يكون للوكالة اليهودية، التي اعتمدتها ممثلة لليهود في فلسطين الحق والحرية في وضع المناهج الدراسية للطلبة اليهود، في الوقت الذي حجبت هذا الحق عن عرب فلسطين، وأهلها الشرعيين، ونصبت مسؤولاً بريطانياً على إدارة المعارف، بحيث يضع المناهج التي يراها تنسجم مع وعد بلفور، وصك الانتداب البريطاني الذي نص على وضع البلاد (فلسطين) في أحوال اقتصادية، واجتماعية، تهيىء لقيام الوطن القومي اليهودي.

وإثر قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، أعلن بن غوريون في الرابع عشر من أيار (مايو) ١٩٤٨، في تل أبيب، أمام حشد من غلاة الصهاينة، ما سمي (بوثيقة الاستقلال) التي اعتبرت فيما بعد منهجاً دائماً لما سماه الأمة اليهودية، ملزمة بالسير على أساسه، ومعتبرة إياه تجسيداً مرحلياً لأماني وآمال الفلسفة التربوية، وتثقيف الأجيال اليهودية القادمة، بموجب نصوصه ومعاييره.

وقد اعتمدت الوثيقة الرئيسة عدداً من العناصر الأساسية تهيىء لمسارها:

أولاً: الحقوق التاريخية والقانونية والطبيعية في إقامة وبناء الدولة.

ثانياً: الإعلان عن الدولة ومؤسساتها.

ثالثاً: أسس إدارة الدولة بالنسبة للشعب اليهودي ثم تجاه سكان البلاد كافة، وأخيراً تجاه الأمم المتحدة.

رابعاً: النداء الموجه للأمم المتحدة، وللعرب في (إسرائيل) وللدول المختلفة، وأخيراً للشعب اليهودي.

وحرصت الوثيقة على أن لا تبين حدود دولة (إسرائيل) إذ كان القصد الحقيقي من عدم توضيح ذلك التحلل من أي التزام بالوقوف عند أي حد، والسير في السياسة التوسعية.

وأشارت الوثيقة إلى دعوى هرتزل عام ١٨٩٧، في المؤتمر الصهيوني الأول بحق الشعب اليهودي في كيان قومي له، ومن وحي هذه المفاهيم.. وانطلاقاً منها، وضعت فلسفة تربية الناشئة الصهيونية، وتركزت فلسفة تعليم أبناء اليهود في المفاهيم الآتية:

- أن اليهود أمة واحدة، ولذلك كان لابد من حصر جميع اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين من جميع أنحاء العالم في بوتقة واحدة على أساس اللغة العبرية والدين اليهودي.

- أن (أرض إسرائيل) هي وطن هذه الأمة، ولابد من العودة إلى هذا الوطن والارتباط به.

- إعادة صياغة الأمة اليهودية، وفق الروح اليهودية والثقافة اليهودية،

وحياً من الدين اليهودي، واللغة العبرية، وتطبيق ذلك على جميع القوى في (إسرائيل) من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار.

- اعتبار التوراة في أصولها العبرية، المصدر الأساسي للتاريخ القومي، وجغرافية الوطن، ومصدر دروس اللغة العبرية والتاريخ اليهودي، والأدب القومي، والمحتوى الأساسي للتقاليد الروحية والأخلاقية.

- اعتبار الشعب اليهودي هو شعب الله المختار الذي هو فوق كل الشعوب، والذي سخرت الشعوب لخدمته، واعتبار أي من الحضارات، والعلوم، والثقافات، إنما هي وحي من هذا الشعب، وريادته.

- إيجاد المجتمع العسكري الدائم، وذلك بتدريب الشعب كله على الجندية لمدة طويلة، وإدخال التدريب العسكري إلى المدارس، وتأسيس منظمات (الجنداع) و(النحال) وشحن أفكار الناشئة منذ الطفولة المبكرة بروح العداء والاحتقار للعرب.

- الإيحاء للناشئة اليهودية بأن العرب يعملون على إبادتهم وتدمير (إسرائيل) وملء المناهج الدراسية بالبطولات الخارقة للشعب اليهودي، وأن الله وعدهم باستخلافهم في الأرض. وتذكيرهم بأيام الإذلال، والمهانة، والمذابح.. التي واجهوها على أيدي الشعوب الأخرى على مر العصور.

وفي إطار ما تقدم، وضعت وزارة المعارف والثقافة في (إسرائيل) المرتكزات، والقيم التربوية التي تعتمدها كتب العلوم الإنسانية (الجغرافية -التاريخ-المواطنة- المدنيات- العقيدة اليهودية- المطالعة) المقررة رسمياً من قبل الوزارة بشكل ثابت ومستمر وقابل لتطور مفهوم الاحتلال الاستيطاني

لفلسطين، وأجزاء من العالم العربي، وقبل أن نقوم بتقديم بعض من الكتب المقرره نورد بعضاً مما جاء في كتاب (المرتكزات والقيم التربوية الصهيونية).

المرتكزات والقيم التربوية العامة

* اعتبار العنصر اليهودي عامل تطور على أرض فلسطين، وبافتقاده أهمل الفلسطينيون العرب أرض إسرائيل قروناً عديدة. فكان لابد من عودة لتغليب العنصر اليهودي بغية تهويد كامل التراب الفلسطيني حتى تعود لإسرائيل أمجادها، ويستأنف اليهود بناء أرض إسرائيل.

* اعتبار فلسطين، والهضبة السورية (الجولان) أرضاً يهودية والأقطار العربية المحيطة بها دولاً أجنبية، لا علاقة لها بفلسطين قومياً، وعقائدياً، وتاريخياً.

* تعمد إغفال التاريخ العربي، والعربي الإسلامي في فلسطين في مختلف العصور.

* اعتبار العرب أصحاب الأرض الشرعيين محتلين في قلب وطنهم فلسطين، واعتبار الفتح الإسلامي احتلالاً، وغزواً تاريخياً للأرض التي تعتبر في نظر اليهود ملكاً لهم.

* وصف سكان فلسطين الأصليين من العرب بأنهم قبائل بدوية، دائمة الترحال جاءت غازية من الصحراء ولا تمت للأرض بصلة.

* التركيز على الادعاء بتعرض اليهود للظلم بشكل مستديم في روسيا،

وأوروبا، مما دفع اليهود إلى الهجرة إلى صهيون (أرض إسرائيل).

* الادعاء المتواصل بوجود أرض، وممتلكات لليهود خارج حدود فلسطين، في حوران، وجنوب الجولان وفي الأردن.

* إبراز قدرة الجندي اليهودي وتفوقه على الجندي العربي، وأنه دائماً يلحق الهزيمة به في كل حرب.

* تكرار دعوة إقامة المستوطنات بذريعة الدفاع عن الكيان الإسرائيلي، بعد حربي حزيران ١٩٦٧، وأكتوبر عام ١٩٧٣.

* تحميل العالم بأسره مسؤولية ما جرى لليهود دون تمييز.

مرتكزات وقيم تربوية صهيونية خاصة بمدينة القدس

* التنكر للوجود العربي، والعربي الإسلامي عبر التاريخ في مدينة القدس واعتبار المدينة مدينة يهودية خالصة، يقترن وجودها التاريخي بوجود المؤسسات والمعابد، والهياكل اليهودية.

* القدس تمثل رمز الاستعلاء والتفوق العرقي اليهودي على بقية الشعوب، لأنها -كما يزعمون- تعتبر مجمع صفوة الأمة اليهودية، من أنبياء وملوك وقادة يهود عبر التاريخ.

* اعتبار سائر المعابد، والكنائس، والمساجد أماكن أثرية يهودية بنى المسيحيون، والمسلمون دور عبادتهم ومؤسساتهم على أنقاضها، زاعمين أن

الحرم المقدس الشريف أقيم على أنقاض هيكل سليمان.

* اعتبار الفتح الإسلامي للمدينة المقدسة مجرد احتلال، وأن الخليفة عمر بن الخطاب كان قائداً لجيش المحتلين.

* وصف العرب -سكان مدينة القدس- بالمخربين والدخلاء، وأن عملية طرد الغزاة الصليبيين على يد صلاح الدين الأيوبي والظاهر بيبرس جاءت بفعل أعمال تخريبية تدميرية قام بها الأيوبيون والمماليك المسلمون من العبيد المتمردين.

*اعتبر المؤلف العرب الفلسطينيين من سكان القدس طوائف منقسمة على نفسها لا تنتمي إلى شعب واحد، فقسم المسلمين إلى مذاهب، والمسيحيين إلى جماعات وطوائف.

* ركز المؤلف على الدعوة إلى تطويق مدينة القدس بالمستوطنات اليهودية، لضمان السيطرة عليها، وعلى ضواحيها.

وفي إطار هذه المرتكزات، والأهداف التي وضعها المؤلف -بتكليف من وزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية- قام عدد من المؤلفين الإسرائيليين بوضع الكتب الدراسية لمختلف المراحل، نورد بعضاً منها، ومما جاء فيها:

هذا موطني: تأليف-ش.شكيد

الكتاب كغيره مليء بالمغالطات، نورد بعضاً من العبارات التي تعبر عن هذه المغالطات كما وردت في الكتاب.

«العرب مخربون، وقتلة في مستعمرات الجليل الأعلى، لذلك لابد من الرد عليهم بإنشاء حزام من المستعمرات في الشمال».

«قبل قيام إسرائيل كان العرب كثيرين في غرب جبال السامرة ولكنهم هجروا قراهم».

«كل ما مر بالقدس ليس سوى غزوات عابرة، حتى سعدت بعودتنا لتصبح عاصمة لإسرائيل مرة أخرى». «الخليل عاصمة الملك داود في بداية حكمه».

« لمدينة نابلس ارتباط مع ماضي شعبنا، ومر بها إبراهيم ويعقوب، وبها قبر يوسف، وجمع بها يوشع الشعب قبل موته».

«وجدت آثار عبرية في بيت إلفا قبل ١٨٠٠سنة، وكنيس عبري يرجع إلى ١٤٠٠سنة كذلك فإن بيت شعاريم كان مدينة مزدهرة في نهاية الهيكل الثاني».

« هدمت المدن والقرى في أرض إسرائيل بشرق الأردن بعد احتلال العرب لها» «انتزع شرق الأردن من أرض إسرائيل كمكافأة للعرب» «شرق الأردن جزء من أرض إسرائيل» «عن طريق استخدام القوة يتعلم العرب بسرعة كيف يحترمون الحارس اليهودي».

« لم نعد فقط إلى المدينة القديمة (القدس) بعد حرب الأيام الستة، بل عدنا أيضاً إلى مدن قديمة ومقدسة تتصل بماضي شعبنا مثل الخليل وبيت لحم».

« كان «الجولان» في أيدي السوريين تهديداً لمستوطنات في سهل الحولة ووادي الأردن».

«حلم المستوطنين لم يتحقق في الجولان إلا بعد حرب الأيام الستة».

«حالة السامرة في نابلس صعبة والمسلمون حاقدون عليهم، ومصادر معيشتهم قليلة ونادرة، ولكن إسرائيل حسنت أحوالهم».

وقائع شعب إسرائيل- منذ فترة الآباء حتى حركة الهجرة إلى فلسطين

للصف الخامس الابتدائي- تأليف- ب. أحياه و م. هرفاز.. الكتاب مثل صارخ للمغالطات التاريخية التي منها :

محاولة إظهار غزو العبرانيين القدماء لفلسطين أيام إبراهيم بأنه تنفيذ لأوامر إلهيه. التركيز على «حق اليهود باحتلال الأرض واغتصابها من الشعوب التي كانت تقطنها مثل الحثيين، واليبوسيين، والكنعانيين والفلسطينيين».

جاء ذلك في الكتاب موضحاً بخارطة تظهر احتلال يشوع للمناطق التي وصلت حدودها لتشمل فلسطين وشرق الأردن.

استخدام الأساطير في تبرير الاعتداءات «صورة حجارة متساقطة من السماء على الكنعانيين» وذلك في محاولة لإظهار الدعم الإلهي لليهود.

خارطة انتشار الأسباط اليهودية بدءاً من شمال فلسطين إلى حدود

لبنان، وانتهاء بجنوب فلسطين والأردن إلى الحدود المصرية.

تصوير زعماء الأسباط بأنهم أبطال دائماً ووصف شاؤول بالبطل الذي مات هو وأبناؤه دعافاً عن الوطن، ووصف انتحاره لئلا يقع بأيدي الفلسطينيين.

مملكة إسرائيل الموحدة الكبرى امتدت من وادي مصر حتى نهر الفرات، ثم انقسامها إلى مملكة إسرائيل في الشمال، ومملكة يهوذا في الجنوب، ولم تستطع أن تقف أمام الأعداء، بسبب انشغالها بحروب ضد بعضها البعض.

تاريخ وقائع شعب إسرائيل- من خراب الهيكل حتى ظهور الإسلام

للصف السادس الابتدائي-تأليف-ب.أحياه- م. هرفاز

الكتاب مليء، بالتزوير، والتعصب، وروح الاستعلاء، والافتراء على التاريخ:

في الفصل الثالث، يدعي المؤلف،«أن اليهود عند عودتهم من السبي البابلي إلى أرض الوطن وجدوها خراباً مقفرة يقطنها الغرباء كالأدوميين، والعمونيين، والشمرونيين، وأن الغريب لا يستطيع أن يحترم أرضه ويدافع عنها كأصحاب الأرض الحقيقيين مثلنا «أي اليهود»».

يركز المؤلف على أن اليهود يملكون كل شبر في فلسطين «اليهودي يمتلك

كل أنحائها سواء في الجليل أو السامرة أو على الشواطئ أو على تخوم الصحراء».

وفي هذا الكتاب هجوم على السيد المسيح، مثلاً يقول «في الحقيقة يجب أن نقول إن رسول النصارى هذا اتصف بقدرة كبيرة مكنته من القيام بعمله على ما يرام، وكان متخماً، ومثيراً لقلوب سامعيه ويعرف كيف يؤثر فيهم، فمع اليهود سلك كيهودي، ولكن أمام الغرباء كان يذم اليهودية، وقال إنه مع مجيء المسيح ألغيت توراة موسى واستبدل العهد القديم بالعهد الجديد».

وقائع شعب إسرائيل: من ظهور الإسلام حتى استقلال الولايات المتحدة

مقرر للصف السابع الابتدائي، تأليف-ب. أحياه- وم. هرفاز

هذا الكتاب يبرز فيه الحقد على الإسلام، وتزوير التاريخ العربي، كمثل الكتب الأخرى تنتشر فيه المغالطات الصارخة .

مثلاً: اعتبار الإسلام دين المحاربين، والزعم، بأن اليهود قد أثروا في العرب، وأن الإيمان الذي جاء به محمد (صلى الله عليه وسلم)، إنما كان استلهاماً من اليهود. ووصف الرسول (محمد عليه الصلاة والسلام) بأنه الغارق في الأحلام، والمقاتل والآمر أتباعه بنشر الدين بقوة السلاح، وفي الكتاب صورة مفتراه للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) يشم الورد، ويقبض على السيف. ويزعمون «أنه حاول أن يجتذب اليهود إليه فأمر أتباعه أن يتوجهوا في صلاتهم إلى القدس، وأن يصوموا يوم الغفران، وأن

اليهود قابلوا ذلك بالسخرية، وعندما أدرك أنهم بعيدون عنه، غير موقفه تجاههم، وأخذ يقسو عليهم وألغى صوم يوم الغفران وعين صوماً آخر يستمر شهراً ويدعى رمضان، كما غير القبلة من القدس إلى مكة». ويزعمون أن الرسول « في حربه مع اليهود في المدينة بدأ يستعمل المكائد والمؤامرات، كما عمد إلى توقيع سلام مع بعض القبائل في الوقت الذي يتفرغ فيه لمحاربة إحداهما، وبذلك نجح في السيطرة على اليهود الذين تصدوا له».

ومن المغالطات التي احتواها الكتاب، قوله: «كرمز للاعتراف بجميل اليهود على مساعدتهم للخليفة عمر بن الخطاب في احتلال البلاد سمح لسبعين عائلة يهودية بالإقامة في القدس» وهذا غير صحيح، ويتعارض عما جاء في العهدة العمرية.

كما يورد الكتاب مغالطة أخرى بزعمه أنه «قتل عمر بن الخطاب على يد عبد نصراني من أصل فارسي»، وهذا ضد كل مصادر التاريخ، فمعروف أن أبا لؤلؤة مجوسي.

أما كتب الجغرافية ففيها العجب العجاب. ونأخذ عينة عن ذلك كتاب:

جغرافية بلادنا إسرائيل

تأليف: أخرام آرتي، واليشع أفرات

في هذا الكتاب، ومجمل كتب الجغرافيا المقررة على التلاميذ والطلاب

اليهود، اعتمد المؤلفون المرتكزات التي تناولناها في مقدمة هذه الدراسة، فنجد أن الكتاب الذي بين أيدينا يبرر عدم تعيين الحدود لدولة إسرائيل إلى أن هذه الحدود عرضة للتغيير، نتيجة للظروف السياسية، وأن هذه الحدود القائمة لا تمثل حدود دولة إسرائيل القديمة التي كانت تمتد من الفرات إلى النيل. ويهدف الكتاب إلى:

* طمس اسم فلسطين ككيان سياسي، وكجزء من بلاد الشام، وأن فلسطين لم تعرف ككيان سياسي إلا زمن المملكة اليهودية، ولذلك فهي أرض إسرائيل.

* كلمة فلسطين مرتبطة بالعرب، إذ وردت بهذا اللفظ في الفتوحات، ولذلك فذكرها إحياء للتراث العربي.

* إن تسمية أرض إسرائيل بفلسطين معناها أن تاريخ هذه البلاد مرتبط بشعوب أقدم من اليهود، وهذا ينفي دعواهم بأن إسرائيل هي لليهود وحدهم.

* حتى بريطانيا التي هي أمهم، والتي أعطت ما لا تملك لمن لا يستحق اخترعوا لها تاريخاً مغايراً للدور الذي قامت به لخدمتهم منذ وعد بلفور حتى نهاية الانتداب. فهم في الكتاب يزعمون أن بريطانيا كانت تستعمر أرض إسرائيل، وأنها قلصت المنطقة التي أعطيت لهم بوعد بلفور، وحرمتهم من شرق الأردن، وأنهم ثاروا عليها، بما سمي حرب الاستقلال، وأنهم هم الذين طردوا الإنجليز من فلسطين.

* يبث الكتاب في أذهان الطلاب اليهود بأن تاريخهم وارتباطهم بإسرائيل منذ ألفين من السنين هو تاريخ وارتباط مستمر متواصل، وغير منقطع حسب ادعائهم.

* يرجع الكتاب أسماء المواقع الطبيعية في ماسماه بمملكة إسرائيل إلى الأسماء القديمة تمجيداً لتاريخهم وحضارتهم، وارتباطهم بدينهم، مستوحين الأسماء مما ورد في التوراة.

* يهمل الكتاب، والكتب الأخرى، جميع العصور التاريخية -من زوال مملكتهم حتى وقتنا الحاضر- منذ عصور الرومان والعرب المسلمين حتى الحكم الصليبي، ثم الحكم العثماني، كما يهملون كل حضارة في فلسطين ويسمونها حضارات أجنبية.

* يتهمون العرب بأنهم أثناء سيطرتهم على ما يسمونها أرض إسرائيل «فلسطين» بالقصور والإهمال، وانتشار الأمراض، وأنها لم تزدهر إلا نتيجة لمقدم الصهاينة اليهود الذين أحيوا الأرض الموات، وجففوا المستنقعات وقضوا على الأمراض.

علم التربية المدنية

لطلبة المدارس الثانوية- تأليف: شالوم أبخر

الكتاب فيه الكثير من الافتراءات على العرب، بهدف ترسيخ العداوة والحقد في نفوس الطلاب اليهود.. من ذلك:-

* تقع إسرائيل في قلب البلاد العربية التي تصرح بوضوح عن خططها لمحوها من الخارطة.

* العرب يعدون لحرب إبادة ضد إسرائيل، بحيث يقذفون بالسكان اليهود في البحر.

* إن الحكام العرب يريدون استمرار الحقد على إسرائيل.

* أغراض العرب الظاهرة، والمعلن عنها ليس فقط احتلال المنطقة الإسرائيلية بل أيضاً الإبادة الشاملة للاستيطان اليهودي، لذلك فإن القتل الجماعي (المحتمل) الذي تتعرض له إسرائيل لا مثيل له في أي مكان آخر في العالم.

* إذا لم ينفذ العرب -هذا الوقت- تهديداتهم بالنسبة لإسرائيل فإن ذلك ليس بسبب عدم وجود الإرادة، ولكن لعدم القدرة.

* يركز الكتاب على شحن الطلاب بروح العداء، وإشعارهم بعدو متربص بهم، عليهم أن يضربوه بشده كلما أتيحت لهم الفرصة.

* يصور الكتاب العرب بالمتخلفين اجتماعياً، منهم عائلات وقبائل متناحرة تنتشر بينها عادات لا تمت إلى الحضارة بشيء.

قصص الأطفال للطلبة اليهود

تدخل قصص الأطفال ضمن الحرب النفسية التي تقوم بها السلطات الصهيونية، لتقوية نفوس أبنائها، وتعزيز موقفها وغرس روح العداء، والتفوق، والاستعلاء في نفوس الأطفال، لذا فقد عمدت السلطات الإسرائيلية إلى إصدار سلاسل من القصص لتحقيق غايتها، نتناول منها، سلسلة قصص «داني دين».

وهو شخصية أسطورية، خارقة، متفوقة قادرة على هزيمة العرب مهما كانت قدرتهم العسكرية، ومن عناوين هذه السلسلة «داني دين في جهاز التجسس»، «داني دين بطل إسرائيل»، «داني دين في الأسر»، «داني دين في حرب الأيام الستة»، «داني دين في جهاز الاستخبارات»، «داني دين في الطائرة المخطوفة»، «مغامرات داني دين»، «داني دين بين الوحوش الضارية».

تعتمد هذه القصص على الخيال المفرط في الأحلام، ومحورها «داني دين» الشخص الذي يرى ولا يُرى، ولذلك يستطيع أن يقوم بالأعمال الخارقة دون أن يراه أو يشعر به أحد، وقد هدفت القصص إلى غرس العديد من الأهداف التي منها:

* غرس الحقد والعداوة ضد الدول العربية جميعها.

* ثقة الأطفال اليهود بجهاز الأمن الإسرائيلي، وترغيبهم في العمل في هذا الجهاز لمصلحة الوطن.

* بذر روح الشك في نفوس الأطفال بالحذر دائماً من جميع الأفراد إذ إن الجواسيس العرب ينتحلون أسماء عبرية ويتحدثون باللغة العبرية.

* الاستهزاء بشبكات التجسس العربية إذ إنها لم تكتشف «داني دين»

وهو الذي يرد على مخابراتهم من مكان قريب.

* إبراز التقدم في مضمار اختراع وسائل الحرب الجديدة لدى إسرائيل، بحيث تضفي روح الاطمئنان بتفوقهم وسيطرتهم على آلات الحرب والدمار.

* إظهار «داني دين» واليهود عموماً بالعبقرية في تدمير الخطط وكشف شبكات التجسس دون عناء، وأن « داني دين» مستعد دائماً أن يفعل كل شيء حتى لو كان العمل خطراً جداً.

* تعليم الطلاب اليهود أن الشرطة السرية بإمكانها التنكر بأزياء عمال بناء أو تنظيفات، أو مصلحي كهرباء أو بائعي صحف.

* إدخال الذعر والرعب في نفوس الأطفال، بأن أي شبكة تجسس لصالح العدو، لابد أن تحتمل وجود جاسوس يعمل لصالح الدولة، ولذلك فلا تعاون بين الجواسيس فكل منهم يخاف الجاسوس الآخر.

يتضح مما تقدم، ومن خلال النماذج التي أوردناها أن المرتكزات التي قامت عليها العملية التربوية في «إسرائيل» هدفت إلى الآتي:

- أن يتخرج الطالب اليهودي من مدارس إسرائيل متعصباً لعنصره اليهودي، حاقداً على الآخرين لاسيما العرب الذين اغتصبت ديارهم.

- ربط كل بقعة من فلسطين التي سموها (أرض إسرائيل) بالتاريخ القديم لليهود، وإعطاء هذا الربط مسحة عاطفية أو شخصية أحياناً، بقطع النظر عن مدى الارتباط الحقيقي بين اليهود، ومختلف المواقع في فلسطين. وذلك من أجل توطيد العلاقة بين اليهود والأرض في فلسطين.

- أن يكون الإسرائيلي محباً للتوسع مع شعور بأن كل أرض تطالها يده إنما كانت لإسرائيل يوماً ما، وأن كل بقعة فيها مجبولة بدم اليهود وعرقهم عبر العصور.

- السعي الدائب لاسترداد الأرض، لأن ذلك واجب مقدس يمليه الإيمان الديني، بل ومتطلبات الوجود المادي أو الجسدي للفرد اليهودي.

ويشجع هذا الاتجاه ادعاء الصهاينة بأنهم عمروا أرض فلسطين، ورفعوا من شأنها وجعلوها نموذجاً للتقدم والرقي.

- ينشأ الطالب اليهودي متعصباً متوتراً دائماً ولديه عقدة الذعر واليأس، بسبب ما تلقنه له الكتب الإسرائيلية عما قاساه اليهود من مظالم عبر العصور، ولا سيما في الفترة الأخيرة على أيدي النازيين مع أقصى قدر من المبالغة، ولهذا يصبح اليهودي، ولا سيما الطالب بعد أن يقرأ ويسمع المبالغات، في وضع مستعد فيه للقتال حتى الموت، لإحساسه بأنه مهدد بالفناء ويتخذ من ذلك ذريعه للعدوان تحت غطاء ما يسمي بالأمن، والاطمئنان.

- نتيجة لكل ذلك ينشأ الطالب اليهودي صهيونياً عنصرياً، عدواني النزعة، تواقاً إلى التوسع ضيق الأفق، محدود التفكير، متشدداً في رأيه لا يعرف سياسة الحوار، والأخذ والعطاء، ولا يكترث للتعايش السلمي القائم على العدل، بل يشعر أن حياته دائماً مرتبطة بموت الآخرين.

إسرائيل وهمُّ التفوق النوعي

حيدر طه*

* سوداني، صحفي مهتم بشؤون التعليم.

في كثير من الدراسات التي تناولت المجتمع الإسرائيلي ظل التركيز دائماً على التكوين الاجتماعي، وآثار الهجرات المتتالية على هذا المجتمع «المصطنع» حديثاً. فمن النادر أن يعثر الباحث العربي على دراسات تفصيلية حول قضايا التعليم في إسرائيل.. فجلُّ البحوث انصبت على المسائل السياسية التي يفرزها الصراع العربي- الإسرائيلي، كما تركزت على كشف الصلة الوثيقة بين المعتقدات الإسرائيلية المستمدة من تراث حقيقي أو أسطوري أو وهمي، وتكوين الدولة اليهودية التي دائماً ما توصف بأنها «عنصرية»..

ومما لا شك فيه أن كل تلك القضايا الدينية والسياسية والعسكرية الأمنية تنعكس بصورة مباشرة أحياناً، وغير مباشرة في كثير من الأحيان، على مناهج التعليم واتجاهات التربية في مجتمع يسوده قلق خفي من الحاضر وتجاه المستقبل.. فنظام التعليم في أي مجتمع يكون انعكاساً للنظام السياسي والاقتصادي للدولة.. كما أنه دائماً ما يقوم على أساس عقائدي نابع من عقيدة الدولة والمجتمع والمتلقي، وليس من المفترض أن يكون الأساس العقائدي متعصباً أو منغلقاً أو متطرفاً. فهناك نماذج مشهورة لنظم عقائدية مفتوحة ومرنة.. إلا أن مثال المجتمع الذي بين أيدينا يعبر عن عقائدية مغلقة ومتعصبة تجاه الآخر... وهذا ما يدل عليه تكوين

الدولة الإسرائيلية.

هذه العقيدة الإسرائيلية حددت اتجاهات التعليم وفلسفة التشريع في الدولة.. ومعلوم أن التعليم والتشريع في أي مجتمع هما المحددان الأساسيان لاتجاهات التطور في المستقبل القريب والبعيد. ولذلك يصبح التعليم -مناهجه وأدواته ومؤسساته- واحداً من علامات تشير إلى ما يصبو إليه المجتمع في قادم سنواته. والاعتقاد العام الذي تسنده وقائع واضحة وخطط معلنة وتصريحات لا لبس فيها تصدر عن قيادات المجتمع الإسرائيلي، هو أن الدولة اليهودية تعمل جاهدة على إحكام سيادتها على المنطقة خلال أقل من ربع قرن، من خلال التفوق الاقتصادي والعسكري على كافة البلدان الواقعة في دائرة الشرق الأوسط.

ولذلك أصبحت أجندة التفوق جزءاً من السياسات العامة للدولة التي راحت تحشد لها كل سبل ووسائل تحقيق هذا المشروع.. فهي تتحرك على كافة المستويات لتأمين استمرار تدفق الهجرة اليهودية إلى إسرائيل، وتأمين بناء مستوطنات جديدة في الأراضي المحتلة، علماً بأن الأراضي التي احتلتها إسرائيل في الحروب الثلاثة منذ عام ١٩٤٨ ضيقة على تحمل موجات جديدة من الهجرات، كما تسعى إلى السيطرة على مصادر المياه أو المشاركة فيها بأي ثمن.

وبالطبع إن هذه الاحتياجات الأساسية لدولة ترمي إلى تحقيق مشروع تفوقها الحضاري سوف يولّد مشكلات جديدة مرتبطة ارتباطاً عضوياً بمواصلة بناء الدولة اليهودية كما حلم بها الآباء والمؤسسون لهذه الدولة،

ويحلم بها الآن الأبناء الذين وجدوا ميراثاً من المسؤوليات والواجبات التي ساهمت المتغيرات الإقليمية والدولية في تعقيدها أكثر بكثير مما كان يفكر فيه الآباء. الآن أضحت مواجهة المشكلات الأمنية والسياسية والاقتصادية في ظرف تشهد فيه المنطقة تحولات من حالة الحرب إلى حالة السلم، وتتنامى فيه أعداد سكان الوطن العربي بمعدلات مرتفعة مقارنة بمعدل نمو السكان في إسرائيل.

وينظر العديد من المهتمين بالشأن الفلسطيني وبالمتغيرات في المجتمع الإسرائيلي إلى أن حالة السلام إذا ما تحققت بالكامل ربما يؤدي ذلك إلى «انفتاح» في المجتمع الإسرائيلي يساهم بدوره في كسر حواجز التفاعل اليومي بين مجتمعين متخاصمين.

ولكن هل ترضى الدولة اليهودية القائمة على أساس التفوق العنصري والسياسي والعسكري بانفتاح يناقض وجودها في المستقبل؟، ولذلك من المستبعد أن تتجه إسرائيل إلى مرحلة «تفاعل» حقيقي مع العرب، وستظل متمسكة بعقلية «المتفوق» المتحكم في مقدرات المنطقة... وهنا تكمن سياستها التعليمية الساعية على إبقاء المجتمع الإسرائيلي «فوق الجميع».

والركيزة الأساسية لهذه السياسة التعليمية تقوم على أن المجتمع الإسرائيلي مجتمع استيطاني، و«هذه الحقيقة هي التفسير الأساسي للعديد من خصوصياته، فهو مجتمع يعمل باهتمام شديد على اجتذاب يهود العالم..».

والاستيطان يعني توفير «أرض» للهجرات الوافدة إلى إسرائيل، كما يعني

أن تحافظ إسرائيل على كونها مجتمعاً زراعياً. وهذا بدوره يفرض سياسة داخلية قادرة على استيعاب تباين الأنماط الثقافية الناتجة عن هذه الهجرات القادمة من مجتمعات مختلفة في ثقافاتها وتقاليدها. فالأصول القومية ليهود إسرائيل تعود إلى أكثر من مئة دولة، والأصول الثقافية لهم ترتبط بنحو ٨٠ لغة. فهذه الهجرات المستمرة تخلق عدم تجانس شديد وهو ما يميز السكان اليهود في إسرائيل، من حيث الموطن الأصلي والتركيب الحضاري ودرجة الثقافة والعادات والتقاليد المتعلقة بالزواج والنظرة إلى الأجانب.

ولحل إشكالية عدم التجانس في المجتمع الواحد بدأت إسرائيل تتجه نحو تعميق الدراسة «اليهودية» وثمة خطة تجريبية للمدارس الثانوية العامة باسم «أصول اليهودية في عالم متغير»..

كما بدأ منذ فترة الاهتمام بوضع برامج تعليمية عن أسلوب الحياة في إسرائيل، وتحويل المدرسة إلى مركز ديني، باعتبار أن «الدين» هو العنصر الوحيد القادر على جمع هذا الشتات اليهودي في مرحلة يتوقع أن تزداد فيها معدلات الهجرة إلى إسرائيل. ولذلك يحرص واضعو السياسة التعليمية على تأكيد فلسفة للتعليم باعتباره الوسيلة التي تبث من خلالها المجتمعات المعرفة للأجيال الجديدة، وتحافظ من خلالها على قيم «المجتمع اليهودي» غير المتجانس في أصله.

ولكن إشكالية عدم التجانس ليست هي الوحيدة التي يعاني منها المجتمع الإسرائيلي.. فهناك قضيتان ترتبطان بحقيقته الجغرافية أكثر من ارتباطها

بحقائق التاريخ هما الأرض والمياه.. فالأرض ضيقة والمياه لن تكفي مجتمعاً يضع في خطته استقبال ٧٠ ألف يهودي سنوياً من مختلف دول العالم، معظمهم سوف يتجه إلى الزراعة كمصدر أساسي للرزق.

ومن الملاحظ أن هذا الهم الإسرائيلي العام انعكس على مناهج التعليم وعلى مؤسساته.. فبنظرة سريعة يمكن الاستدلال على الأهمية التي يضعها راسمو السياسة التعليمية على قضايا الثالوث «المياه والأرض والسكان». وإن كانت إسرائيل تتحكم الآن -نسبياً- في عدد السكان والأرض إلا أنها لم تضع يدها على مصادر المياه الغنية، فهي ما زالت تحلم بمياه النيل كمصدر من مصادر الري لزراعتها في بعض المناطق المتاخمة لسيناء.

وتهتم إسرائيل بتوفير كادر خبير بشؤون الزراعة، فلديها الآن ٢٣ مدرسة زراعية، وهي نسبة عالية بالمقارنة إلى ٥٦٠ مدرسة ثانوية «أكاديمية» في حين أن هناك مدرستين عربيتين فقط للزراعة.. إلا أن اهتمام الدولة اليهودية بالمدارس المهنية والكليات الفنية والهندسية زاد بصورة كبيرة خلال السنوات العشر الماضية.

ووفقاً للإحصائيات الرسمية فإن ميزانية التعليم في إسرائيل بلغت ١,٥ مليار دولار بعد تخفيضها، وتقول هذه الإحصاءات إن عدد التلاميذ وصل إلى ١,٢ مليون تلميذ منتشرين في ٧٢٠٠ مؤسسة تعليمية.. وإن عدد المعلمين يتراوح بين ٦٥ ألفاً و٧٠ ألفاً.

ومن الملاحظ أن التعليم الإجباري مقرر حتى سن ١٦ سنة.. وهذا ما يبينه عدد المدارس الابتدائية الإسرائيلية، حيث وصل إلى ١٢٣١ مدرسة،

وهناك ١٦٤ مدرسة للمعوقين، في حين يبلغ عدد المدارس العربية ٢٩٢ مدرسة ابتدائية و٩١ مدرسة ثانوية.. ويقدر عدد المعلمين في هذه المدارس العربية بحوالي ١٣ ألف معلم.

والجدير بالملاحظة أن أعداد التلاميذ في المدارس الابتدائية الإسرائيلية وصل إلى ٥٠٥.١٩١ تلميذاً، وهذه نسبة كبيرة إذا ما قيست بمجموع عدد سكان إسرائيل الذي لم يتجاوز ٤.٥ مليون نسمة..

إن التفسير الوحيد لتنامي الاتجاهات بإدخال مناهج تعليم دينية في مرحلة التعليم الأساسي لا ترتبط بالدولة اليهودية كدولة «علمانية» بل يرتبط بخلق انسجام أكبر في البناء الاجتماعي الذي يتسم بخصوصية كونه بناء اجتماعياً من نمط غير عادي لا يزال في حالة تشكل، اتصالاً بمنشئه الاستيطاني.. «فهو تجمع لمستوطنين مهاجرين، لا تزال هجرتهم مستمرة، وهو لم يتكون تاريخياً فوق الأرض الفلسطينية شأن المجتمعات الطبيعية إذ إن أغلبية المهاجرين اليهود جاء ت في السنوات الخمسين الأخيرة..».

كما أن من سمات هذه الهجرات الجديدة أنها وافدة من دول أوروبا الشرقية، وبخاصة الاتحاد السوفيتي، حيث لم يتلق أفرادها أي تعليم ديني ولا معرفة لهم باللغة العبرية، وتنخفض في أوساطهم نسبة المتدينين... وتذكر بعض الدراسات أن نسبة ٣٠٪ من المهاجرين الجدد مشكوك في يهوديتها أصلاً، جزئياً أو كلياً.. ولذلك توصف هذه الهجرات الجديدة بأنها غير عقائدية، وبأن مشاعر «الصهيونية» عند القادمين فيها ضعيفة مما يخلق مزيداً من عدم التجانس في مجتمع تتطلع قيادته السياسية أن يكون

مجتمعاً متفوقاً.

ورغم هذه السمات السلبية في الهجرات الجديدة إلا أن إسرائيل لا تفكر في التدقيق كثيراً على مدى «صهيونية» هذا أو ذاك.. فإنها تريد أعداداً متزايدة من السكان، لتوفير توازن ديمغرافي بين العرب واليهود، في الأرض المحتلة.

ويرى باحثان إسرائيليان أن المجتمع الإسرائيلي سيواجه مشكلة خطيرة في مجال التوازن الديمغرافي خلال أقل من عقدين.

فقد تحدثت دراسة بعنوان «سكان إسرائيل» أعدها البروفيسور فريند لاندر، والدكتور غولد شايدر في الجامعة العبرية، ونشرت قبل أكثر من عشر سنوات، بأن إسرائيل ستتحول إلى دولة ذات أغلبية عربية عام ٢٠١٠، وأن نسبة العرب في «أرض إسرائيل ستصبح حينئذ ٥٣٪ مقابل ٤٧٪ من اليهود، إذا لم تحدث هجرة صافية بمعدل ٤٠ ألف مهاجر سنوياً...»..

هذه إشكالية مزدوجة.. هجرات لها سلبيات، وسلبياتها لا تعالج إلا بدمج الوافدين مع المقيمين، ولذلك كان من بين الاتجاهات اتجاه يدعو إلى تعميق الدراسات اليهودية في المدارس الثانوية، وإدخال مواد دينية في مراحل الأساس لأن هذا المنهج سوف يساعد كثيراً على هذا «الدمج» على أساس عقائدي..

فمن مطالعة أرقام الهجرات وتزايد عدد السكان ونسب المياه المطلوبة خلال العقدين القادمين، والأراضي المتوافرة الآن، وربط كل ذلك بفلسفة

الاتجاهات الجديدة في التعليم يمكن استخلاص التالي:

❖ أن إسرائيل تحاول حل مشكلة الضعف العددي لسكانها بالتفوق النوعي في المرحلة الراهنة والقادمة.

❖ أن مناهج التعليم الأساسي يخطط لها أن تستوعب الدراسة الدينية بشكل متزايد بحل مشكلة عدم الانسجام الناتج عن اختلاف الأصول الثقافية للمهاجرين.

❖ أن التركيز في المدارس الثانوية على منهج تعليم تكنولوجي زراعي يهدف - بالإضافة إلى إعداد مجتمع حديث- إلى حل مشكلة السكان والأرض والمياه عبر الاهتمام بـ «الإنتاجية» العالية في الزراعة والصناعة والخدمات.

❖ أن برامج التعليم تنسجم مع الثقافة العامة المنتجة من أجهزة الدولة والمنظمات والهيئات المدنية، لتحديد نظرة ثابتة تجاه المواطن العربي-في الداخل وفي الخارج- بأنه «دوني»، وهي نظرة تتكامل مع فكرة «التفوق» التي يعمل المجتمع اليهودي عبر مؤسساته التعليمية ومراكز بحوثه وعبر مفكريه ووسائل إعلامه على سيادتها، وإدخالها في التكوين العضوي للمواطن اليهودي والمهاجر الوافد لـ «أرض فلسطين».

الشحن العدواني للنشء الإسرائيلي

د. إبراهيم البحراوي*

* مصري، أستاذ الدراسات العبرية - جامعة عين شمس.

إن المطالعة في برامج التعليم الرسمية المقررة في المدارس الإسرائيلية باللغة العبرية خاصة في مواد التاريخ والصهيونية بعين الفحص تؤدي بالقارئ الفاحص إلى نفس الحالة التي ينتهي إليها من مطالعة مواد التثقيف الرسمية التي تظهر في هيئة دوائر معارف وموسوعات خاصة بالأعمار الصغيرة، وهي الموسوعات التي تصدر عادة عن دار الموسوعات الرسمية للدولة.. ولا يختلف انطباع الفاحص لهذه البرامج التعليمية المقررة والمواد التثقيفية ذات الطابع العلمي المنظم عن الانطباع الذي يخرج به من التقليب في صفحات كتب الأطفال عامة، سواء تلك التي تأخذ طابع القصة البوليسية المشوقة أم تلك التي تحمل طابع أدب الأطفال الخيالي..

إن الأثر الكلي الناتج في عقل القارئ الفاحص يلخصه مصطلح -IN DOCTRINATION وهو المصطلح الذي يصف عملية التلقين والشحن الفكري والعاطفي في المدارس الفكرية ذات الطابع الأيديولوجي الشمولي مثل: المدرسة الفاشية والمدرسة النازية والمدرسة الشيوعية.. وهي المدارس التي خلصت الأبحاث بشأن مساراتها التربوية إلى إقرار الطابع التلقيني في برامجها التعليمية والتثقيفية، بهدف صب عقول وأفئدة النشء الغض في إطار القوالب العنصرية والعدوانية والاستعلائية في رؤية الذات ورؤية الآخر المغاير.

إن الأساليب العامة المتبعة في البرامج التعليمية والتثقيفية الإسرائيلية تبدو وقد انتفعت انتفاعاً كبيراً بأساليب التلقين والتربية في المدارس سالفة الذكر.. وهو ما يؤدي في الناتج النهائي إلى تكوين أطفال وشباب يفكرون طبقاً لأنماط فكرية جاهزة ومسبقة، تقود مشاعرهم وتحرك مسالكهم تجاه العرب ليس فقط باعتبارهم أمة معاصرة بل باعتبارهم أصحاب تاريخ أقدم.

ولقد أثارت مطالعاتي الفاحصة في برامج التعليم والتثقيف العبرية في ذهني مشروع بحث طرحته على عدة جهات ثقافية وجامعية في العالم العربي، آملاً أن يأخذ حقه في الدراسة والبحث من جانب طواقم متخصصة في الدراسات العبرية ودراسات التربية وثقافة الطفل.

لقد وضعت مشروعي خلال شهر رمضان من عام ١٩٩٦ ميلادية أمام المجلس الأعلى للثقافة في مصر، وأمام اتحاد الجامعات الإسلامية بواسطة الأستاذ الدكتور جعفر عبدالسلام- وكيل جامعة الأزهر- ولقد أخذ البحث مساره التنفيذي في أكثر من جهة بهدف الكشف عن مفاهيم ثقافة العدوان في برامج التعليم للأطفال الإسرائيليين، والتي تأخذ شكل المقررات الدراسية.

ولقد بين المشروع أن الهدف يمكن تحقيقه عبر وسيلتين: الأولى: نقل المواد التعليمية إلى اللغة العربية والثانية إخضاع هذه المواد لتحليل المضمون على عدة محاور أهمها كالتالي:

- صورة العربي كإنسان في برامج التعليم الإسرائيلية.

- صورة التاريخ العربي في نفس البرامج.
- صورة الثقافة العربية في نفس البرامج.
- صورة الحق العربي في أرض فلسطين في نفس البرامج.
- صورة الديانة الإسلامية في نفس البرامج.

وإذا كانت عناية مؤسساتنا الأكاديمية بهذا المشروع وتبنيه تعكس حالة يقظة علمية ومعرفية في هذا المجال الحساس فإن ما ينبغي تأكيده في هذه العجالة.. هو أن أهمية هذا البحث ستظهر من الناحية التطبيقية عندما نلاحظ أن هناك عملية فكرية تجري لتشويه صورة الإنسان العربي، ونزع الصفات الإنسانية عنه فيما يعرف بمصطلح DEHUMANIZATION وذلك بالإضافة إلى تشويه تاريخه وتصويره في صورة التاريخ الضاري الذي يثير الفزع من أصحابه.. إن القيمة التطبيقية لبحثنا هذا تنعكس إذن في تحديد المستوى الوظيفي الذي يقوم به هذا النوع من التلقين الفكري للنشء الإسرائيلي.. فالوظيفة السلوكية الناتجة عن تحقير الخصم وتجريده من صفاته الإنسانية تتمثل في سهولة الفتك به والعدوان عليه، باعتباره كائناً خطراً يجب المبادرة إلى القضاء عليه، كضرورة أمن وكضروورة حياة حتى لا يعطى الفرصة للانقضاض على الكيان الصهويني..

وإذا كان الحديث هنا ينصب على البرامج التثقيفية بعد أن أودعنا المقررات الدراسية في إطار البحث الأكاديمي الذي ما زال في طور الإعداد، فإننا نتوقف هنا عند بعض النماذج التي تقدمها موسوعات

الشباب العبرية حول العربي كصاحب تاريخ لنرى الدور التلقيني الذي تؤديه هذه الموسوعات في شحن النشء الإسرائيلي بالكراهية للتاريخ العربي ولورثة هذا التاريخ.

إن تأمل المواد المنشورة تحت عناوين «الجزيرة العربية» و «إسلام» والمكتوبة بأقلام أساتذة للتاريخ في الجامعات الإسرائيلية تأتي ليس فقط كصورة مقلوبة للتاريخ ومشوهة للحقائق التي ترصدها السجلات عن أوضاع اليهود في الجزيرة العربية، وعن مؤامراتهم ضد الإسلام في صدره الأول.. بل إنها تأتي كذلك لتضع اليهود المتآمرين موضع الضحية البريئة التي لقيت عقاباً لم تكن تستحقه.. إن هذه العملية يجسدها مصطلح VICTIMIZATION وهو يدل على تلك الحيلة التي يلجأ إليها المعتدي، لتبرير عدوانه أمام نفسه وتصوير نفسه في صورة الضحية البريئة التي لا تستحق ما ينزل بها من عقاب.. ولا تخفى على فطنة القارئ أن مثل هذه العملية التلقينية للنشء الإسرائيلي في موسوعة «انسيكلو بيديا لنوعر»، والتي ما زالت طبعاتها تتجدد إنما تهدف إلى شحن النشء الإسرائيلي بعداء للتاريخ العربي وللدين الإسلامي ولورثة هذا التاريخ وهذا الدين معاً.. توطئة لإدخال النشء في حالة الكراهية الشعورية ثم في حالة العدوان السلوكية ضد العرب.

إن المجال هنا هو مجال التعرض لخطوط عريضة، وليس مجالاً للإيغال في التفاصيل.. ولذا فإن الإشارة إلى الدراسة التي قام بها في العبرية البروفيسور اديركوهين- أستاذ آداب الأطفال بجامعة تل أبيب، والتي قام خلالها بدراسة محتوى حوالي ألف كتاب من كتب تثقيف الأطفال في اللغة

العبرية- تكفي للدلالة على حالة التعمد من جانب مؤلفي كتب الأطفال الإسرائيليين اللجوء إلى أساليب التلقين العدائي، والشحن العدواني ضد الشخصية العربية.

فقد أثبت البروفيسور كوهين في بحثه المنشور بالعبرية تحت عنوان «بانيم مخوعاروت بمرآه» أي وجه قبيح في المرآة، أن تحليله لمضامين ألف كتاب عبري قد أثبتت أن هناك صورة مخيفة للإنسان العربي تعرضها كتب الأطفال الإسرائيليين، وأن هذه الصورة تظهر العربي في شكل قاتل أو مختطف للأطفال، وأن هذه الصورة مستقرة لدى ٧٥٪ من أطفال المدارس الابتدائية الإسرائيليين. كذلك أوضح البروفيسور كوهين أن الصورة الحضارية للإنسان العربي لدى التلاميذ الإسرائيليين والمأخوذة عن كتب التثقيف هي صورة مزرية، فهو أي العربي يظهر عادة في صورة صاحب الوجه القبيح القذر صاحب الأظافر الطويلة، أما من حيث فهم الأطفال الإسرائيليين لنوايا العرب تجاههم وهي النوايا التي توردها كتب التثقيف فتعبر عنها عبارات غالبية الأطفال الذين سألهم البروفيسور كوهين وجاءت العبارات الغالبة كالتالي «العرب يريدون قتلنا واحتلال مدننا وإلقاءنا في البحر» وهي العبارات التي انعكست وظيفياً في سلوك الأطفال الإسرائيليين في تعبيرهم عن الرغبة في التخلص من وجود العرب في فلسطين باعتباره وجوداً لأجانب خطرين يجب التخلص منهم أولاً إثباتاً للحق اليهودي في الأرض، وثانياً لتجنب الخطر العربي.

إن المتابعة الأكثر تفصيلاً تكشف عن الخطورة الوظيفية لأسلوب الشحن العدائي ضد العرب.

وماذا بعد ..؟

هذا هو ملف «التعليم في إسرائيل» نشرناه في مجلة المعرفة ونشرناه الآن في كتاب المعرفة لن نقول إننا أقفلنا الملف بعد هذا الكتاب، بل نحن فتحناه على مصراعيه بعد أن كان مفتوحاً على مصراع واحد!

فبعد أن فتحت «المعرفة» - المجلة - هذا الملف مسلسلاً على صفحات ثلاثة أعداد منها، كان لقرائنا موقفان متغايران..

البعض الأول اتصل معاتباً يقول: ما أهمية طرح هذا الموضوع في المعرفة الآن؟ هل أشبعتم قضايانا التربوية المحلية والعربية حتى تنطلقوا للحديث عن تعليم إسرائيل؟ ثم ألا تعتبرون إطلاق اسم إسرائيل ووضع النجمة السداسية اعترافاً وتكريساً منكم لهذا الكيان غير المعترف به من قبلنا نحن العرب!! ثم هل مشكلتنا مع إسرائيل يمكن أن تكون تعليمية وسط هذه القنابل والاغتيالات والمستوطنات؟!

البعض الآخر اتصل مادحاً يقول: أهنئكم على هذا السبق المعرفي، فنحن منذ استبيح أول شبر من فلسطين ليس لنا حديث سوى الحديث عن الجيش الإسرائيلي والسياسة الليكودية/ العمالية والكفاح والنضال و«عائدون ... عائدون إلى فلسطين الحبيبة»!

لم يلتفت أحد - كما التفتم - إلى ساحات أخرى للمعالجة، لم يزرع أحد هاجساً في نفوسنا حول «جذور الانتصار الإسرائيلي»!

لقد قلتم عن إسرائيل ما لم تقله الأوائل!

هاتان الشريحتان من قراء المعرفة هم الذين من أجلهم نقول إن ملف التعليم في إسرائيل ما زال مفتوحاً، فنحن في المعرفة فعلنا ما نرى أنه هو الصواب، لكننا ننتظر منكم أنتم الآن - أيها المعاتبون أو المحتفلون بمبادرتنا - الرأي والحوار البنّاء البعيد عن الآراء المقولبة والتأويلات المسبقة.

نريد أن نسمع رأيكم.. فكلنا «أوراق» صاغية.

المعرفة



المعرفة

تربوية ثقافية شهرية



إصدار
وزارة المعـــــارف
بالمملكة العربية السعودية

إدارة النشر
روناء للإعلام المتخصص

هاتف: ٤٧٨٥٣٢٢ - فاكس مجاني: ٨٠٠١٢٤٢٢٧٧ - ص.ب : ٢٦٤٥٠ - الرياض : ١١٤٨٦

ردمك ٢-٠١٠-١٩-٩٩٦٠